

فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمد مبرور

العالم العابد العارف بالله ذو النور المصراة



العالم العابد العارف بالله
ذو النون المصري

- الناشر : دار الرشاد
العنوان : ١٤ شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : ٣٩٣٤٦٠٥
رقم الإيداع : ٢٠٨٩٦ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : 4 - 009 - 364 - 977
الطبع : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ٧ ، ١٠ ش السلام - أرض اللواء - المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣
الجمع : أرمس
العنوان : ٣٢ شارع على عبد اللطيف مجلس الأمة - القاهرة
تليفون : ٧٩٦٤٤٠٤
- جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة**
- الطبعة الثانية : ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م (الأولى للدار)
مراجعة : محمد دياب
الغلاف : والى حمدان
خطوط : لحن فهد

فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمد محمود

العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

(سورة الكهف : ١٠٢)

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

(سورة البقرة : ٢٨٦)

يَا رَبُّ

كَيْفَ لَا ابْتِهَاجُ بِكَ سُرُوراً
وَقَدْ كُنْتُ أَكْدَحُ بِبَابِكَ حَتَّى
جَعَلْتَنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ ..؟

« دُؤُ النَّوْنُ »

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن المراجع الأساسية التي رجعت إليها عن ذي النون ، مراجع محدودة ، إنها :

- ١ - السر المكتون في مناقب ذي النون للإمام السيوطي .
 - ٢ - حلية الأولياء لأبي نعيم .
 - ٣ - الطبقات الكبرى للإمام الشعرائي .
 - ٤ - طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي .
 - ٥ - الكواكب الدرية للمناوي .
 - ٦ - مجموعة ما ترجم عن المستشرق نيكلسون .
- ثم يأتي بعد ذلك ما هو طبيعي لكل باحث : نص من هنا أو نص من هناك ، واستشارة لهذا الكتاب أو ذاك ، وكشف في معجم من المعاجم أو في أحد التفاسير .
- هذه المراجع التي رجعت إليها هي المراجع الموجودة عن ذي النون . ورجوعي إليها وحدها لم يكن عن تقصير في البحث أو التنقيب ، وإنما كان لأنها هي فقط الموجودة .
- ومع قلة هذه المراجع فإنني لم أشعر بأنني في حاجة إلى غيرها ، لقد كانت كافية بالنسبة إلى الهدف الذي كان أمامي .

إننى لم أكتب - وما أردت - عن ذى النون : رسالة دكتوراه ،
ولا بحثاً أكاديمياً ، وإنما أحببت ذا النون ، فأحببت أن أكتب عنه
لأشرك غيرى فى حبه ، وإن من حق ذى النون علينا أن نعرفه وأن
نعرف به . . إنه عالم ، وهو صوفى ، وهو رجل أخلاق ، وهو عبقرية
من العبقریات ، ثم هو مصرى .

ولقد أحببته منذ اللحظات الأولى للقراءة عنه .
لقد كان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات حينما طلبت إلى الإذاعة -
إذ ذاك - أن أكتب المادة التاريخية العلمية عن ذى النون لتتخذ من
ذلك أساساً لتمثيلية عنه .

وعشت مع ذى النون فترة قصيرة ولكنها كانت نفيسة .
لقد عشت معه فى سياحاته الكثيرة الممتعة ، وقد كان كثير
الأسفار ، وهو يقص بعض ما حدث له من مقابلات فيها الغرائب
وفى العظات والعبر .

وعشت معه فى محنته ، وليس أمر المحن ببعيد عن ذوى
العبقریات .

إن الجمهور لا يمكن أن يرقى إلى مستوى العباقرة ، والعباقرة
لا يمكنهم أن يجاروا الجمهور فى مآلوفاته .

والعالم يتغير من حال إلى حال بسبب هذا الصراع بين العباقرة
والجمهور ، ولكن الجمهور يألف شيئاً فشيئاً بعض أفكار العباقرة ،
ثم يأخذها عادات له ، ولكنها هى نفسها تكون منطلقاً لعباقرة يأتون
فيحدثون تغييراً ترفضه الجماهير ثم تألفه شيئاً فشيئاً ، وهكذا
هو اليك .

ولقد امتحن ذو النون وصبر على المحنة التي اعتبرها منحة ؛ لقد صبر عليها صبر الراضين الحامدين الذين يرون أن كل ما يأتي به المحبوب محبوب ، والمحبوب هنا هو الله .

وخرج ذو النون من محنته خروج الراضين الحامدين أيضاً ، فالأمر منه وإليه .

وعشت مع ذي النون متلمذاً على روح صافية ترى الأمور بمنظار الربانيين . . وإن للربانيين نظرة بعيدة كل البعد عن نظرة غيرهم . إنها نظرة هؤلاء الذين وصلوا إلى :

« كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا » .

وهذه النظرة التي تكون نتيجة لجهاد النفس طويلاً حتى تتزكى وتصفو ، يهبها الله تعالى متحنيين :

* إحداهما :

« وَإِنْ سَأَلْنِي لِأَعْطِيَنَّهُ » .

* والثانية :

« وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ » .

بيد أن هذه النفوس الربانية وصلت إلى درجة لا تسأل فيها إلا سؤال عبادة ،

إنها أيقنت بحكمة ربها ، وبرحمته ، فرضيت بشمار الحكمة والرحمة ، وألقت بمقاليدها إلى الحكيم الرحمن .

ولكنه سبحانه قال :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (١).

وهم يسألونه القرب وهو قريب ، إنيهم يسألونه زيادة القرب ، وليس لزيادة القرب نهاية ، وهناك باستمرار قرب هو أقرب مما يسبقه من قرب .

إنه سبحانه يقول :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٢).

وهذا القرب هو أمهم ، كل أمهم .
وهم يستعيدون به استعادة عادة ، وذلك أنه سبحانه - أمر
بالاستعادة :

﴿وَأَمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣)

ولكن هؤلاء قد وصلوا إلى الدرجة التي يقول سبحانه عنها .
﴿إِنِّي عِبَادِي لَئْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤).

والتي يقول الشيطان نفسه عنها :

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٥).

(٣) سورة الأعراف ٢٠٠

(٥) سورة الحجر ٤٠

(١، ٢) سورة البقرة ١٨٦

(٤) سورة الحجر ٤٢ .

أما غير الشيطان فإنهم لا يروهم في حقيقة، وهل يرى هؤلاء مع الله أحداً. انظر إليه سبحانه وتعالى يقول:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

إن الله - سبحانه - يملك الكسب، والكرم، والبرم، والمكان، والحركة، والخلق، والأمر، ويملك القوة، والجاه، والمال، والذكاء، والأنفاس، والبصر في العين، والسمع في الأذن، ويملك ببصاته القلب، وهمسات القواد.

وهو سبحانه - كما يملك هبة ذلك إلى من يشاء - يملك نزعته ممن يشاء، إقته . . . إليه يرجع الأمر كله يقول سبحانه .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) ﴾ (٢)
﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) ﴾ (٣)

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) ﴾ (٤)

(١) سورة آل عمران : ٢٦

(٢) سورة الواقعة : ٥٨ ، ٥٩

(٣) سورة الواقعة : ٦٣ - ٦٥

(٤) سورة الواقعة : ٦٨ - ٧٢

ويقول سبحانه .

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَأَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَقًا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبَا وَقَضًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) ﴾ (١) .

ويقول سبحانه :

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

ويقول تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٣) .

ويقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَعَابًا ثُمَّ يُكَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٤) .

إنه الأوب . والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وإليه يرجع الأمر كله ، ولا حول ولا قوة إلا به .

(١) سورة عن ٣٢-٢٤

(٢) سورة الأنفال : ١٧

(٣) سورة السجدة : ٢٧ .

(٤) سورة النور : ٤٣ .

وانظر إلى حديث ابن عباس حينما قال له رسول الله ﷺ .

« يا غلام، إني أعلمك كلمات. احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (١).

وفي رواية :

« احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً ».

إن هذا الحديث العجيب النفيس الفاخر ، هو من شعارات الربانيين :

إنهم حفظوا الله فاطمأنوا إلى حفظه لهم ، وأنه نجوهم .
وتعرفوا إلى الله في الرخاء فاطمأنوا إلى معرفه هم في الشدة ،
وكانوا له فكان لهم .

بهم لا يرون معه سبحانه أحداً هي التصريف - وهل معه أحد ؟
تأمل بربك هذه الآيات :

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
 (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ
 حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبْتُوا شَجَرَهَا إِلَهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
 يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ
 وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ
 يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ
 اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ
 الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا
 بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ (٦٤) ﴾

إن ذا النور كان من هؤلاء ، ومن أجل ذلك اعنبر محنته مسحة ،
 إنه ما كان يشعر - طيلة محنته - إلا بالمعبة ، وكان يأنس - في محنته -
 بالمعبة .

إلام توصله هذه المعبة ؟ . إلى خير بلا شك ، إلى خير أسمى .
 أو إلى قُرب أقرب ، إنه مغتبط بمحنته

لقد عشت معه فيها مع بدرة الأخبار عنها .
 وعشت معه أراققه في محالاته العلمية

وكما جاهد ذو النون حتى تركت نفسه ، فقد جاهد أيضاً في سبيل المعرفة : المعرفة في مجالين على الخصوص ، وأعترف - في تواضع لا أشكر عنه - أنني لم أستطع - وقد حاولت - أن أجاريه في أحد هذين المجالين ، وهو مجال الكيمياء ..

لقد حاولت أن أفهمه في هذا المجال فما استطعت إلى ذلك سبيلاً . ويذكر بن الفسطي أن ذا النون اشتغل بالكيمياء ، ويرى أنه وصل في الكيمياء إلى أن كان من طبقة حارس حيان فيها ، ويسدونه عالج الكيمياء على الطريقة لروحانية ، كما عالجها على الطريقة العلمية الحديثة ، وكما أجرى لتجارب من الجانب المادي فإنه أجراها من الجانب الروحي .

إن يكلسون يقول :

« ومن الر جيع أن ذا النون المصري كان يستخدم الأدوية ، ويستعمل البحور ، أو على الأقل كان يعمل ذلك ، كما أخبرنا رجل زاره يوماً فرأى بين يديه طستاً من ذهب وحوه البند والعبر يسجر ، فصاح به ذو النون قائلاً :

« هل أنت ممن يدخل على الملوك في حل بسطهم »

وإن لدى نون رسائل في الكيمياء موجود بعضها في دار الكتب لمصرية .

أما المجال الثاني فهو مجال العلم لروحي

وما من شك في أن وصول ذي النون إلى الصفاء و لنقاء والطهر ،
أدى به إلى الثمار الشهية من الإلهام المضيء ، الذي يعبر عنه في
سهولة ويسر .

وهذا الجانب هو الذي سرت معه فيه ، فكان نبراساً جميلاً نهتدى
به ، ونحب أن نهتدى إليه ، إنه يتصل بالتفسير الكريم ، وشرح
الأحاديث الشريفة ، والسير على نسق الرسول ﷺ ، وعلى نسق
المهتدين من الصحابة والتابعين .

ومن هنا كان حبي لذي النون ، وتقديرى له وكتابتى عنه ، وأرجو
من الله التوفيق والهداية .

حياته

إنه أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري..
يقول عنه صاحب «الكواكب الدرية» :

« العارف الساطق بالحقائق ، الفائق للطرائق ، ذو العبرات
الوثيقة ، والإشارات الدقيقة ، والصفات الكاملة ، والنفس العاملة
العاملة ، والهمم الحلّة ، والطريقة المرضيّة ، والمحاسن الخريجة
المتّبعة ، والأفعال والأقوال التي لا تحصى منها تنعة ، رعت به مصر
وديرها ، وأشرق بوره ليها وبهارها » (١) .

ويقولون في وصفه :

« كان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة » .

* كيف كان ذو النون في طفولته وشبابه ؟ ..

في ذلك يقول يوصف بن الحسين :

« ستأنست بذى النون ، فقلت له :

أيها الشيخ : ما كان بدء شألك ؟

قال :

« كنت شاباً صاحب لهو ولعب » .

ونحب أن نقف ونقول أولاً . إنه كان يعيش الحياة العادية

للشبان لا يعاون بوقت بمر لا يشعلونه بما يفيد ، ولا تعنى الكلمة أنه
كان عاصياً سيئ الأخلاق ، لأنه يقول بعد ذلك :

(١) الكواكب الدرية ص ٢٢٣

« وخرجتُ حاجَّةً إلى بيت الله الحرام » .

ثم يقول :

« ومعى بضعة فى المركب مع تجار من مصر » .

وهذه الكلمة الأخيرة ، قد ترشد إلى أنه اشتغل فى شبابه بالتجارة .

ويبدو أن هذه الحجَّة كانت الأساس فى اتجاهه إلى الله والواقع أن الحج من الوسائل الكرى لتوبة الصادقة والإحلاص والصدق ، وأن أعمال الحج منذ أن تبدأ بالتوبة ، وبس الملابس البيضاء - ملابس غير مخيطة لم يدخلها المقص - ولم تعمل فيها المرأة ، ولم تُدَسَّ بالدنوب - وصلاة ركعتين مع لنية التى تتجه إلى الله فى العون والمثوبة ، ثم الجهر بالتلبية : أى : الاستجابة الخالصة لله فى أعماله ، ثم بقية الأعمال التى تنتهى برجم مصدر الشر - إبليس - ثم الطواف على طهر وبقاء . . .

إن كل ذلك فيما أفترض هو مبدأ تحول ذى لنون .

إنى أفترض - إذن - أن هذا الحج كان من العوامل المهمة فى حياة ذى النون ، وأنه فصل فيها بين مرحلتين

* إحداهما : المرحلة العادية الأولى

* والثانية : هى مرحلة التزكية .

ومع ذلك فهناك محال لاحتمالات أخرى . . وهذه الاحتمالات نأخذها على أنها رمزية جميلة فى رمزيتها ، أو نأخذها على أنها حقيقة عجيبة فى وصفها .

أحد هذه الاحتمالات ، ما روى من أنه سئل عن سبب توبته

فقال

« خرجتُ من مصر لبعض القرى ، فَنمت في الطريق في بعض الصحاري، ففتحت عيني، فإذا بقبْرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانتشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان: إحداهما ذهب، والأخرى فضة. وفي إحداهما سمسم، والأخرى ماء ، فجعلتُ تأكل من هذه ، وتشرب من هذه ؛ فقلتُ: حسبي، قد تبتُ ، ولزمتُ الباب إلى أن قبِلْتَنِي » (١) .

هذه هي قصة الاحتمال الثاني .

وما من شك في أن الرزق مضمون ، وأن الله سبحانه قد ضمن الرزق :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢)

ثم يقسم الله تعالى على ذلك فيقول :

﴿ قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ ﴾ (٣)

ويقول سبحانه :

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٤) .

(٢) سورة الداربات ٢٢

(٤) سورة هود ٦

(١) حمية الأولياء لأبي سعيد .

(٣) سورة الناريات : ٢٣ .

وهذه القصة التى تُروى عنى لسان ذى النون أهى قصة رمزية أراد بها ذو النون أن يوضح عناية الله بمخلوقاته، ورحمته بهم، ورعايته لهم، وهو سبحانه الرحيم الودود، الرؤوف الرحيم، أرحم الراحمين، وخير الكرماء ؟

أم هى قصة حقيقية . وأن لله تعالى عجائب فى الكون تظهر لدوى البصيرة، لا يعدها عد، ولا تحدّها حدود ؟!

وليست القصة بمستحيلة، وإنها لفى غاية الجمال فى الدلالة على جميل عناية الله بمخلوقاته.

واحتمال ثالث. يقول صاحب «الكواكب الدرية» عن ذى النون .
وكان اسمه ثوبان بن إبراهيم، ونيل الفيض، وأصله من النوبة .
ثم نزل إخميم، فأقام بها، فسمع يوماً صوت لهُو ودفاف
فقال :

ما هذا ؟

فيل : عرس .

وسمع بجانبه بكاء وصياحاً ،

فقال :

ما هذا ؟

فقبل : فلان مات .

فقال .

« أعطى هؤلاء فما شكروا ، وابتلى هؤلاء فما صبروا » . وأقسم
أن لا يبيت بالبلد، فخرج فوراً إلى مصر فقطنها .

وهذه هي الواقع قصة عادية تحدث كل يوم . . . ويمر بها الناس فلا تثير في نفوسهم شيئاً .

ومع ذلك : فإنها عبرة للدين هياً الله نفوسهم للتأمل في عبر الحياة حينما تمر بهم ، واحياة مليئة بالعبر ، يمر بها قوم فلا يلتفتون إليها ، ويمر بها آخرون ففكرون ويتأملون ويدخلون في نطق من يقول 'له تعالى فيهم :

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قَبِلْنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١)

لقد هياً الله نفس ذي النون في تلك الساعة ، فأثرت فيه عبرة الحياة ، فكانت الهداية .

وهذه الاحتمالات لا ينفي بعضها بعضاً ، ومن الممكن أن تكون قد تكاثفت وتعاونت ، فانتهت به إلى التأثير في جميع أقطار نفسه ، فتاب وأتاب وملك الطريق .

ثم إنها لا تنفي احتمالاً رابعاً له قيمته الكبرى في نظرنا ، وذلك أن صاحب « الحلية » يقول : « وكن شيخه في الطريق شقوان العابد » . هل كان شقوان أساس هدايته ؟ . . هل تلقاه قبل أن تتحول به الحياة من طريق إلى طريق ؟ . . فكان الموجه له ، والمرشد له بعد الحج ؟

(١) سورة آل عمران : ١٩١ .

أم تلقّعه وهو في حيرة يتحسس الطريق حتى يسير آمناً مطمئناً؟
- إنها احتمالات كلها ممكنة .

ولعلها جمعاً تعاوت فأخرجت لك ذا النون المصري ، رصوان الله عليه

ومهما يكن من شيء . . . فإنتا نرى أن توبة ذي النون إنما بدأت
برحلته هذه إلى حج ، ويبدو أنه أحلص النية في هذا الحج فرجع منه
كيوم ولدته أمه .

ورسول الله ﷺ يقول :

«مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» .

ورسول الله ﷺ يتناسق مع القرآن الكريم في هذا ، إذ يقول الله

تعالى :

﴿ الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ

وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (١) .

وارفث : فحش اللسان ، والفسوق : فحش الخوارج ، والجidal :
التزاع والمشاحنة .

إن ذا النون تأثر - لا شك - بالحج ، وهو حينما يتحدث عن هذه
الحجة الأولى يتحدث معها عما شاهده فيها من تجليات الله على
بعض عبده ، وأن ذلك أثر في نفسه .

بيد أن العامل الحاسم في حياة ذي النون إنما هو نقده « شقران

العابد »

(١) سورة البقرة : ١٩٧

وكن شقران شخصية ممتازة قوة ، وإن كما لم نعثر له على كتب أو
ترجمة مستفيضة ، ولكن الإمام الشعرائي يقول عنه
«شقران المغربي العابد: شيخ ذي الون المصري ، عارفٌ ظَهَرَ
ضَبْؤُهُ ، وطابَ ذكرُهُ وثناؤُهُ ، كان ذا أحوال باهرة ، ومقامات
فاخرة» .

ومن كلامه :

« إن لله عباداً خرجوا إليه بإخلاصهم ، وشعروا إليه بتضاققه
إسرارهم ، فأقاموا على صفاء المعاملة ، وبادروا إلى استماع كلامه
بحضور أفهامهم ، فعند ذلك نظر إليهم بعين الملاحظة فأجزل لهم
المواهب ، وحُقَّتْ لهم منه إعطايها ، فشمُّوا روائح القرب من قريبه ،
وهبَّتْ عليهم رياح اللقاء من تحت عرشه ، فتطايرت أرواح قلوبهم
إلى ذلك الروح العظيم ، ثم نادى : لا بَرَّاح ! .

وقال :

« ألا خُلَّ خدوم ؟

.. ألا صديقٌ يدوم ؟

.. ألا حليفٌ ودا ؟

.. ألا صحيحٌ اعتقاد ؟

.. أين من استراحَ قلبه بحب الله ؟

.. أين من ظهرَ على جوارحه نور خدمة الله ؟

.. أين من عرفَ الطريق ؟

.. أين من نظرَ بالتحقيق ؟

.. أين من سقى نباح ؟

.. أين من بكى وناح ؟

- أولئك تحفُّ بهم الملائكة بالليل والنهار وتسلم عليهم الحيتان
من البحار ..

ومن كراماته :

أنه أر د نية أن يعتسل قدم يجد ماء ، فلحظ بى السماء وقال .
« اللهم قد عجزتُ عن الماء ، وانقطع رجائى من غيرك ، فاعطفْ
على قلة حيلتى ، فسمع وقع الماء فى الإناء فقام إليه فوجده بارداً ،
فحرك شفتيه فإذا به قد سخن ... »

« وقد مات بمصر ودفن بالقرافة بقرب قبر عتبة .. » .

- أين التقى به ذو النون ؟ وكيف أخذ العهد عليه ؟

- وما هى الكيفية التى رسمها له ليسير فى معراجه إلى الله ؟
كر هذه أسئلة لا يحد لها جواباً من التاريخ ، ولكنها أسئلة ليست
بحرة فى موضوعنا ، ذلك أن الطريق الذى يوصفه الشيخ - كل
شيخ صادق - معروف فى جوهره : إنه بدأ بتوبة لصادقة انتصح
وهذه هى الخطوة الأولى الأساسية - وهى خطوة من صميم
الشرع ، فالتوبة من الذنوب واجبة ، بل هى مطلوبة ، ولو لم تكن
هناك ذنوب من الذنوب المتعارف عليها ، وقد قال الله سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ (١)

أى : الذين يكثرون من التوبة ، وما التوبة إلا حضوع وتصرع وتذل ، فهي من صميم العبودية ، ومن أحل أنها من صميم العبودية كان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله ويستغفره في اليوم مائة مرة ولقد حث الله عباده على التوبة شتى الأساليب ، من ذلك قوله تعالى في حديث قدسى ، فيما رواه الرسول ﷺ عن الله تبارك وتعالى :

« يا عبادى : إنكم تُخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً : فاستغفرونى أغفر لكم »

أى استغفرونى استغفاراً صادقاً ، والاستغفار الصادق هو توبة صادقة ، فإذا فعل الإنسان ذلك غفر الله له وتاب عليه ، والتوبة الصادقة تحب ما قبلها ، إنها تصع التائب في مرتبة « البراءة » ، فإذا ما تاب المرید بقَّه الشيخ : « الذَّكْر »

والذكر من صفات أولى لألبياب ، وذلك أن من صماتهم - التى ذكرها الله سبحانه - أنهم :

﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١)

والأمر بالذكر فى القرآن الكريم استغفرق الأزمنة والأحوال المختلفة للإنسان ، سواء أكد تسييحاً أم تهليلاً وحمداً وتكبيراً وحقولة .

(١) سورة آل عمران ١٩١

وهذه هي الباقيات الصالحات ، وهذه هي المنجيات الحاميات .
 وقد قال الله سبحانه وتعالى عن النبي «ذى النون» عليه السلام :
 ﴿ قُلُوبًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٢﴾ لَلَّيْلَ فِي بَيْتِهِ إِلَى يَوْمٍ يُخْرَجُ ﴾ (١)
 لقد نجَّاه التَّسْبِيح .

ولقد قال أحد من أصابتهم كارثة لإخوته :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (٢) ؟
 أى أنهم لو اتَّبَعُوا كلامه وسَبَّحُوا الله لما أصابتهم الكارثة .
 ومن الذكر الذى يصممه الشيخ لمريده : الصلاة على الرسول
 ﷺ . .

والله سبحانه وتعالى يقول :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَمَلَانِكُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
 وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

فالشيخ - إذن - فى أخذه بيد المريد إند بدأ بالتقوية ويشئ بالذكر .
 ولكن الشيخ وقد أحلص وجهه لله ، وملا الله عليه جميع أقطار
 نفسه ؛ فأصبح ربانياً يقود مُريده عن طريق الأسوة أيضاً .
 إن المريد يرى فى شيخه الاعتماد على الله والتوكل عليه وابتغاء
 مرضاته فى كل ما يأتى من الأمور وما يدع منها .

(١) سورة الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤

(٢) سورة القلم : ٢٨ .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

إنه يرى في شيخه . الصدق ، والرأفة ، والرحمة ، ومواساة
البائسين ، والعطف على المساكين ، وهداية الخبيثين ، ويرى فيه
التأسى برسول الله ﷺ ، والعمل بما أمر به القرآن ، والاستهزاء عما
نهى عنه لقرآن . فيقتدى بشيخه ، ويتأسى به .

التوبة ، الذكر ، الأسوة ، وأمر رابع هو تأثير الشيخ روحياً في
المريد ، وهذه الظاهرة معروفة من قديم : إن نظرة الشيخ لمريده لها
أثرها .

ولقد وجد ذو النون في شقران العابد الشيخ المرشد ؛ فاتبعه إلى
أن أصبح هو نفسه شيخاً مرشداً .

محنته

يقول الله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَيْرٍ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١).

ولقد أحد بعض المؤرخين يعدُّ أعداء الأبياء من المجرمين ، ومن الممكن أن يعدَّ الإنسان أعداء أولياء الله من المحرمين أيضاً ؛ وذلك أن كثيراً من الناس قد ملأ الشر قلوبهم ، إلى درجة أنهم لا يتحملون رؤية الأتقياء الأولياء .

ومع أن الله سبحانه يقول في حديث قدسي :

« مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ » .

فإن الكثيرين يعادون أولياء الله لما في قلوبهم من شر ، ولما في نفوسهم من حب الإيذاء .

ولقد كان لذي النون أعداء .

إنهم أعداء التسامى في العلم ، وفي الحق ، وفي التصوف

وتكثَّل هؤلاء الأعداء يقول صاحب « الكواكب الدرية » عن

ذِي النُّونِ :

« وَلَمَّا تَكَلَّمَ بِعِلْمِهِ لَدُنِّيَّةٍ لَا عِلْمَ لِأَهْلِ مِصْرَ بِهَا ، وَشَرَاهُ إِلَى

خَلِيفَةِ بَغْدَادَ ، فَحُمِلَ إِلَيْهِ فِي جَمَاعَةٍ ، مَغْبُولًا مَتِيدًا ، فَقُدِّمَ لِلْقَتْلِ ،

فَكَلَّمَ الْخَلِيفَةَ ، فَأَعْجَبَهُ ، فَأُطْفِقَ وَرَفَعَتْهُ ، وَقَالَ

« إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةً فَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ »

(١) سورة الفرقان : ٣١

ولكن أهل مصر قوم طيبون، فمجرد أن رأوا ذا النور - وفي يده
 العلّ وفي راحته الشيد - أهدوا بيكون، وإذا بدى النور يعلو :
 « هذا من مواهب الله ومن عطاياه، وكل فعالة عذب حسن طيب »
 ثم أخذ يشد مخاطباً الله سبحانه شعره .

لَكَ مِنْ قُلُوبِي الْمَكَانُ الْمَصُونُ كُلُّ هَمِّ قَلْبِكَ يَهْوُونُ
 لَكَ عَزْمٌ بِأَنْ أَكُونُ قَتِيلًا فَيْكَ وَالصَّبْرُ غَنُّكَ مَا لَا يَكُونُ

ويقص ذو النور بعض أخبار من هذه المحنة فيقول :
 « لما حملت من مصر في الحديد إلى بغداد لقيتني امرأة زُمّة ،
 فقالت : إذا دخلت على المتوكل فلا تهيه ، ولا ترأيه فوقك ، ولا
 تخرج نفسك محقاً كنت أو متهماً ، لأنك إن هتته سلطه الله عليك ،
 وإن حاججت عن نفسك لم يردك ذلك إلا وبالاً ، لأنك بهتت الله
 فيما يعلمه ، وإن كنت بريئاً فادع الله تعالى أن يصبر لك ، ولا تستصر
 لنفسك فيكلك إليها .

فقلت لها : سمعاً وطاعة .

فلما دخلت على المتوكل سلمت بالخلافة .

فقل لي : ما تقول فيما قيل فيك من الكفر ولردقة ؟
 .. فسكت .

فقال وريره . هو حقيقٌ عندي بما قيل فيه .

ثم قال لي : لم لا تتكلم ؟

فقلت :

يا امير المؤمنين . ان قلت لا كذبتُ المسمين . وان قلت نعم
كذبتُ على نفسي بشيء لا يعلمه الله تعالى مني : فافعل أنت ما
ترى فإني غير منتصر لنفسي .

فقد الموكل هو رجل برء من قليل فيه

فخرجت إلى العجوز ، فقالت لها: جزاك الله عنى خيرا.. فعبث
ما أمرتني به ، فمن اين لك هذا ؟
فقلت :

«من حيث خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام» اهـ
ترد بذلك ما قال الهدهد .

﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ ﴾ ^(١) أى عن مشاهدة
وبريد قول الهدهد

﴿ أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ ^(٢) هـ

بيد أن قصة هذه المحبة انتهت إلى كثير من الخير ، ولقد فصنها
بعض من كتب عن ذى النون من حيث حاتمها ، وذكر العص ما لم
يذكره الآخرون . ومن أحل ذلك تحب أن تذكر بعض ما ذكره
روى أبو نعم في «الحياة» عن إبراهيم بن يحيى ليبردى قال :
ما حمل ذو النون إلى حصر الموكل أمره في بعض الدور وأوصى
به ررافة .

(١ ، ٢) سورة النمل : ٢٤ .

وقال : إذا رجعتم عدائكم ركوبى وأخرج إلى هذا الرجل
فقال له ربيعة : إن أمير المؤمنين أوصانى بك .

فما رجع من بغداد ، قال له :

نظر إلى مستقبل أمير المؤمنين - سلام .

فما خرج إليه قال له : سئمت عسى أمير المؤمنين

فقال ذو النون

« ليس هكذا جاء الخبر ، إنما جاء فى الخبر أن الراكب يسلم

على الراكب » .

فسئمت أمير المؤمنين ونداه بسلام ، فمما بين قال له

« أنت زاهد أهل مصر ؟

قال :

« كذا يقولون » .

فقال له ربيعة : إن أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام زهاد .

فأصرق ملياً ثم قال :

« يا امرئ المؤمنين إن لله عبادة عبود بحاصل من أسر ، فشرفهم

بحاصل من شكره ، فهم الدين بمر صحتهم مع الملائكة قرعى حتى إذا

صارت إليه ملاها بهم من سر ما سرؤا إليه .

أبدتهم دنيوية ، وقلوبهم سموية ، قد احتوت قلوبهم من المعرفة

حتى كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الأفراج وطقق السحوات ، لم

يخبوا فى ربيع الباطل ، ولم يرنهوا فى مصيف الانام ويزهوا بالله ر

مراهم يتوائبون على حبائل المكر : هيبة منهم له وإجلالا ، ان يراهم
يبيعون خلاقهم بشيء لا يدوم ، ويكثره من العيش مزهودة ، فلوئث
اذن حلسهم على كراسى اهل المعرفة بالأدواء والنظر في صابت
الداء ، فقال لهم -

ان اناكم غير من فدى فداؤوه ، و يريص من دكرى فدوده ، و
بس لنعمتي فذكروده ، او مبارر بي بالمعاصي فذاذوده او محب لي
هو صلوه يا اوليائي ، فيكم عانت ، ولكم حاطبت ، وميكم الوفاء صلبت ،
ولا أحب استخدام الحباريين ، ولا تولي المتكرين ، ولا مصافاة المترفين ..
يا اوليائي و احناي ، جزائي لكم افضل الحزاء ، واعطائي لكم افضل
العطاء ، وبدلي لكم افضل البذل ، وفضلي عليكم أوفر لفضل ، ومعامتي
لكم أوفى المعاملة ، ومطالبتى لكم اشد المطالبة ، أنا مقدس القيوب ، وأنا
علام الغيوب ، وأنا أعلم بمجال الفكر ووساوس الصدور ، من ارادكم
يسوء قصمته ، ومن عادكم أهكبه»

ثم قال ذو النون :

« وَرَدَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى بَحْرِ مَحَبَّتِهِ فَأَعْتَرَفَتْ مِنْهُ رِيَا مِنْ الشَّرَابِ ..
فسهل عليها كل عرض عرض لها دون لقاء المحبوب . قد سكنت لهم
استفوس ، ورضوا بالفقر والبؤس ، واطمانت جوارحهم على الدؤوب
على طاعة الله بالحركات ، وطعنت انفسهم عن المطاعم والشهوات ،
فصاوا بالفكرة ، واعقدوا الصبر ، واخذوا بالرضا ، ولهوا عن الدنيا ،
واقروا بالعبودية للملك اديان ، ورضوا به دون كل قريب وحبيب ،

فحشعوا بهيبته وأقروا له بالتقصير . واذعنوا له بالطاعة ولم يبالوا بالقلّة .

إذا دخوا فاهل ثقى ، وإذا عوملوا فإخوان حياء ، وإذا تكلموا فحكماء ، وإذا سئلوا فعلماء ، وإذا حُبل عيهم فحلّماء ، فلو رأيتهم لقلت عذارى فى الخدور ، قد تحركت بهم المحبة فى الصدور ، بحس تلك الصور ابنى قد علاها النور ، وإذا كشفت عن القيوب رأيت قلوباً لينة منكسرة وبالدكر نائرة وبمحادثة المحبوب عامرة ، لا يشغلون قلوبهم بغيره ، ولا يميلون ابنى ما دونه ، قد ملأت محبة ابيه صدورهم فليس يجدون لعرب المحلوفين سهوة ، ولا بغير الاس بحادثة الله لذذ . إخوان صدق ، وأصحاب حياء ووقار ، وثقى وورع وإيمان ومعرفة ودين ، فاستقبلوا الوفاء بالصبر على لزوم الحق واستعانوا بالحق على الباطل ، فوصح لهم الخجة ، ودلهم على المحجة ، فرفضوا طريق المهالك ، وسلكوا خير المسالك ، أولئك هم الاوتاد الذين لهم ثوب المواهب ، وبهم نُفتح الابواب ، وبهم يُنسأ لسحاب ، وبهم يُدفع العقاب والعذاب ، وبهم يسقى العباد والبلاد .. فرحمه الله علينا وعليهم »

لقد سبق أن ذكرنا أن المتوكل بعد أن سمع كلام ذي النون ..

« إن كان هؤلاء رفاقه فما على وجه الارض مسلم »

ويبدو ان المتوكل أخذ بعد ذلك - يستدعى ذا النون ويسمع منه ، فصاح « لست لمكون » يذكر قصة طويلة بصلب فيها حتوك من ذي

النون أن يحدثه بأعجب ما رأى في سياحاته، ويحدثه ذو النون،
ولعل من آثار دي النون هذا السلوك الذي اتخذه المتوكل بالنسبة
لأهل السنة من إيقاف التنكيل بهم، ومن اضطهادهم
ومما لا شك فيه أن دا النون أثر في نفس المتوكل من هذا الجانب،
لقد أثر فيها إلى درجة أن المتوكل كان إذا ذكر عنده أهل الورع يبكى
ويقول :

« إذا ذكر أهل الورع فحيّاهُ بذى النون » .

إن المتوكل في صلاته لوثيقة بالمعتزلة لم ير فيهم هذا اللون من
العبودية له، والصلة به، ومن الورع والزهد
وما كان المعتزلة - في يوم من الأيام - يتجهون هذا الاتجاه، أو
يتحدثون بهذا الأسلوب المؤثر، أو تبدو شخصيتهم في هذه الصورة
التي ترى فيها قلوباً امتلأت بحب الله سبحانه كلاً، وإنما كانت
هذه الصورة كثيرة في أهل السنة.

ومهما يكن من شيء ؛ فإنه قد ان الأوان لرجوع دي النون إلى
مصر محرراً مكرماً

ومر دو النون بحاح المتوكل، هذا الرجل الذي عرف دا النون
عن قرب، فعرف عبادته وذكره وتسيحه، ونحب أن نذكر هنا قصة
عن وداعه لذي النون، يقول :

دخل عليّ ذو النون ليودّعني ، فقلت له

اكتب لى دعوة ، ففعل ، فقررت إليه حاد لوزينج ، فقلت له
كل من هذا فإنه يرفع للدماغ ، ويضع العقل
فقال .

« العقل ينفعه غير هذا » .

قلت : ما ينفعه ؟

قال :

« اتبع امر الله والانتهاء عن شهته ، اما علمت ر النبي . قال : إنما

العاقل من عقل عن الله أمره ونهيته »

فقلت له : أكرمتى بأكله

قال :

« أريد الذم من هذا » .

قلت : وأى شئ تريد ؟

فقال :

« هذا من لا يعرف الحلوى ، ولا يعرف الكفا ، وإن امر معرفة الله

بمخدون حلاى هذا اللوزينج » .

قلت : لا أض أحد فى الدين تحس أن يتحد اخوة من هذا ، فإن

هذا من مطبخ أمير المؤمنين المتوكل على الله .

قال :

« خذ باب مكنون محصر طعمه المعرفة . واعجبه بماء الإجهاد

.. وطابق صفو ابوداد ، ثم احبر بوزينج العباد بحر فبر نفس

الزهاد ، وأوقده بحصب الأسى » .

وهكذا احد ذو النون يحدثه بهذه الأسلوب المجري عن مأثور
أهل الله ، حتى قال له :

« ثم كُلْ بأنامل التفويض ، في ولائم المناجاة ، بوجود خواطر
القلوب ، فعند ذلك تفريج كرب القلوب ، ومحل سرور محب الملك
المحبوب » .

ثم ودَّعى وخرج ، وحملة الله عليه
عماد ذو النون لمصر معزراً مكرمًا ، ولعل من مشاير الله سبحانه
أن محبة ذي النون إنما كانت رسالة يؤدبها إلى المتوكل الذي بدأ حياته
بعبادة أهل السنة ، فلما أدى الرسالة وبصيح لم توكل انتهت مهمته
في عدد ، وعدد إلى مصر التي كان يهوى فؤاده إليها
ولعل من نصريات المقادير أن تكون هذه المحبة من لأسباب التي
تجعل حياة ذي النون حياة هادئة ، فإنه وقد عماد معزراً مكرمًا من عند
أخيه أحترمه الوالي وأحرمه غير الوالي ممن يسرون في التحامات
الحلقة ، يسحطون إذا سخط ، ويرصرون إذا رضى .
أكنت محبة ؟ أم كاست كما عثر عنها ذو النون بقوله . :
« هَذَا مِنْ مِّنْجِ اللَّهِ وَعَطَايَاهُ » .

وفاته

أما عن وفاة ذى النون فإننا نكتفى بقول النصوص الآتية :

بقول صاحب « السر المكنون » :

« روى المنذرى فى تاريخه عن أبى محمد بن رمان بن حبيب

الضرى قال :

« مات ذو النون رأيت على جنازته طيوراً خضراء ، هلا أدرى أى شىء كان ؟ ومات عندنا بمصر ، فأمر أن يُجعل قبره مع الأرض » .

ويقول الإمام الشجرانى :

« منهم أبو يعقوب ذو النون المصرى رضى الله تعالى عنه : واسمه ثوبان بن إبراهيم ، وكان أبوه نوبياً ، توفى سنة خمس وأربعين ومائتين ، وكان يمتدح رجلاً بحفاً تعلوه حمرة وليس بأبيض اللحية .

ولما توفى رحمه الله بالجيزة حمل فى قارب مخافة أن ينقطع الجسر من كثرة الناس مع جنازته ، ورأى الناس طيوراً أحمراء ترفرف على جنازته حتى وصلت إلى قبره رحمه الله » .

ويقول صاحب « الكواكب الدرية » :

« ودفن بالقرافة ، وقبره بها ظاهر مقصود بالزيارة ، وعليه نُسِّ

ومَهَابَة » .

وكلموه - وهو فى النزع - فقال :

« لا تشغلونى : فقد عجبتُ من كثرة لُطف الله بى » .

المحدث المتبع للسنة

إن الاقتداء برسول الله ﷺ من أجل الأمور التي يسعى إلى تحقيقها الصوفية، وهم يرون، في صدق، أن القرب من الله سبحانه لا يتأتى إلا بالسير على الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ. بل له سبحانه يقرب.

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (١)

وكيف يقتدى الإنسان برسول الله ﷺ إذا لم يكن على معرفة سيرته، ومن أجل هذه المعرفة درس الصوفية السيرة النبوية، درسوه في مصنفاتها من كتب لسيره ومن كتب أحدث وبعض الصوفية حصا حظرة أخرى فاشنعل، حديث وأصح محدثاً، ومن هؤلاء، الفضيل بن عياض، أما فيما يتعلق بديان فونه درس السيرة درس مستفيضة، درسها ليقدي بها ودرجها ليرشد إليها ودرس الحديث، بل وأسد الحديث عن الأئمة - رحمهم الله تعالى:

عن مالك، والبيت بن سعد، وسفيان بن عينة، والفضيل بن عياض وغيرهم.

(١) سورة الأحزاب ٢١

ولكن أمره هي إسناد الحديث سار على ما وصف صاحب «الحلية»
إذ يقول :

« شَغَلَتْهُ الرِّعَايَةُ عَنِ الرِّوَايَةِ » .

وذا النون هو الذي يقول :

« من علامات المحبة لله : متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله
وأمره وسُنَّته » .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١)

ومن كلمات ذي النون لى له معراها فيما يتعلق بأشع لسنه
الشريفة ما يحدث به محمد بن سعيد الخوارزمى ، قال
سمعت ذا النون - وقد سئل عن المحبة - فى

« أن تحب ما أحب الله ، وتبغض ما يبغضه الله ، وتفعل الخير
كله ، وترفض كل ما يشغل عن الله ، ولا تخاف فى الله لومة لائم ،
مع العصف لمؤمنين ، والعلظة على الكافرين ، وأشع رسول الله
ﷺ فى الدين »

ومن الأحاديث نرى أسسها ذو أسون ما يلى
يقول أبو الفيض ذو أسون بن إبراهيم المصرى .
حدثنا مالك بن أسس ، عن الزهرى ، عن أسس ، قال :
قال رسول الله ﷺ :

« إِنْ يَلَهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَحَبَّةٌ مِنْ حَقِّهِ »

فيل : من هم يا رسول الله ؟

قال . « أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » .

(١) سورة آل عمران : ٣١

ويقول أبو الخيص ذو النون . حدثنا فضيل بن عياض عن أبيه عن
مجاهد عن أبي عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ

« تَجَافَوْا عَنِ ذَنْبِ السَّخَى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَثَرَ » (١)
ولقد روى ذو النون هذا الحديث الشريف بعدة طرق .

ويقول رحمه الله : سمعت لفصل بن هاني ، سمعت مالك بن أنس
رحمه الله ، سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي يقول :
سمعت أبي يقول . سمعت أبي يقول : سمعت علي بن أبي طالب
يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول . سمعت حريز بن بشار يقول :

« مَنْ قَالَ مِنْ أُمَّتِي - يَا مُحَمَّدٌ - كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ
الْحَقُّ الْمُبِينُ ، كَانَ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ وَأَنْسًا مِنْ وَخْشَةِ الْقَبْرِ ، وَاسْتَجَابَ بِهِ
الْغَنَى ، وَاسْتَقَرَّ بِهِ بَابُ الْجَنَّةِ » (٢) .

ويقول ذو النون : حدثنا مالك بن سمي عن أبي صالح عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ - مِائَةَ مَرَّةٍ - عُفِرَتْ
ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ »

ويقول ذو النون المصري : حدثنا الميثم بن سعد عن نافع عن أبي
عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

(١) روى من طرق أخرى

(٢) ينبغي ألا يفهم معنى هذا الحديث وأمانه على وجهه الصحيح ، أي من فها
مؤمن بها ينجى بقية نفسه من أن يسلم لعمر الله من برعة وشهوة وحب حاد
أو ما من نفس فيها على هذا الوجه كسبها ماها من حيرات الكثرة

« الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » .

ويقول دواؤد المصري : حدث مالك بن أنس عن دافع عن بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال :
« مَنْ نُسِيَ الْجُمُعَةُ فَلْيُغْتَمَرْ » أخرجہ احطیب فی « رِوَاةِ حَدِيثِ » . والحدث فی « الموطأ »

ويقول دواؤد لمون . حدثت سفيان بن عيينة عن أبي بكر أنه سمع أنس ابن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ :

« بَتِّعُ الْمَيِّتُ ثَلَاثًا ، فَرُجِعَ اثْنَانِ وَبَقِيَ وَاحِدٌ . يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيُرْجَعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ » (١)
ومن أقواله لرجل :

« لِيَكُنْ ثَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدَكَ وَأَحْصِ إِلَيْكَ أَحْكَامَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَاتَّقِ مَا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ مَا تَعَبَّدَكَ إِلَهُ بِهِ خَيْرٌ لَكَ وَأَفْضَلُ مِمَّا تَخْتَارُهُ لِنَفْسِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ الَّذِي لَمْ يَحِبْ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرَى أَنَّهَا أَبْعَدُ لَكَ فِيمَا تَرِيدُ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَرَاعِيَ أَبَدًا مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَضٍ يَحْكُمُهُ عَلَى مَا دُونَهِ ، وَيَنْظُرَ إِلَى مَا نُهِىَ عَنْهُ ، فَيَتَّقِيهِ عَلَى أَحْكَامِ مَا يَنْبَغِي .

واعلم أن الذي منع العباد عن ربهم ، وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان وما أعد الله لأوليائه وأعدائه ، حتى يكونوا كأنهم مشاهدون لها : التساهون عن إحكام ما افترض عليهم في قلوبهم وأسماعهم

(١) حديث صحيح

وأيصارهم وأيديهم وأرجلهم ويطوبهم وفروجهم . ولو أحكموها أدخل
عليهم الفوائد حتى نعض أبدانهم ويطوبهم عن حمل ما ورثهم الله من
معوناته وفوائد كراماته، ولكنهم حقروا محفلات الذنوب، وتهاوتوا بما
فيهم من العيوب . فحرموا ثواب الصادقين «

ذو النُّونِ العَالِمِ

إن صفة رجال التصوف بالعلم - على وجه العموم - صفة وثيقة ،
إنهم يتصنون - من قرب - بكتب الله سبحانه . يتنونه متعمدين
تلاوته ، ويكثرون تلاوته متقربين إلى الله بها ففتح الله عليهم
الكثير من أنوار ، فيشربون من هذه الأنوار ويندكرون بعص ما فتح
الله عليهم .

وهم يتصلون - عن قرب - بسنة رسول الله ﷺ ، وذلك من أجل
الاعتداء به ، فيستفيدون منها بغة وأسويأ ، وفقها وأنواراً
من الدين أرخوا بالحيد يقولون

« كَر (لَكِنَّةٌ) يحضرون مجلسه لألفه ، والمتكلمون
لتحقيقه ، والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه ، والصوفية
لإشاراته وحقائقه ، وكان فقهاً على مذهب أبي ثور ، وكان يفتي في
حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة » . وهو نقائل

« من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا
الأمر ؛ لأن علمه هذا مقيد بكتاب ولسنة »

ولم يكن الحنيد مدعاً من الصوفية ، فالفضيل بن عياض كان إماماً
في الحديث وهو ممن أسند عنهم البخاري

ومعروف الكرخي : كان أحمد بن حنبل وابن معين - كما يقول
الغزالي - يحتشان إليه ويسألانه ، ولم يكن في علم الطاهر مثلهما .
وسرى السقطي ؛ كان أوحد أهل زمانه في علوم التوحيد

واحداث الحاسبى هو - كما قال المصمى - : إمام المسلمين فى
 النطق والمنصوف والحديث والكلام . ويقول عنه الإمام العزالى :
 « حاسبى حير الامة فى علم معجزة . و به سبق على جميع
 الباحثين عن عيوب النص وأفات لأعمال »
 وأبو سيمان داود بطائى يقول عنه مدهى
 « كان إماما فقيها ذا فروع عديدة »

وسهل التستري حفظ القرآن وهو من سبع سنين . وكان يُسأل عن
 الرهد والنورح و نفسه وهو ابن عشر سنين فيحسن الإجابة ، وهو
 تدار هذه الكلمة التى لها مغراها العميق :

« ما أعطى أحد شيئا فصل من علم يستزيد به فتبار إلى الله »
 و هو ترب الحشبي تتلمذ على الإمام الشافعى ، وتلمذ عليه
 الإمام أحمد بن حنبل .

ومصنور من عمر ؟ كتب إليه بشر المرسى سائلا :
 - ما عولك فى لقرا ، أمحلو أم لا ؟
 فكتب إليه هذه الكلمة الشيعة .

« أما بعد ، عافانا الله وإياك من كل فتنة ، فرب بعض فأعظم بها من
 نعمه ، وإلا فهى الهبكة . اعلم ان الكلام فى الترا بدعة اشترك
 فيها السائل والمحجب ، فتعاطى السائل ما ليس له ، وتكلف المحجب ما
 ليس به ، والله تعالى الخالق ، وم دون الله مخلوق . ولقرا
 كلام الله ، و انتة إلى أسمائه التى سماء لله بها تكن من المهتدين ، ولا
 تتدع فى القرن من قديك اسما تكن من الصالين

﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

ويوسف بن الحسين كان عالماً أديباً .

وأبو عبد الله الترمذى : قال الحافظ ابن السكيت في تاريخه

« كن إماماً من أئمة المسلمين ، له التصانيف لكثيرة في التصوف

وأصول الدين ومعاني الحديث » .

وأبو بكر الزرقى الترمذى له التصانيف في الرياضات

وأبو سعيد الخراز له التصانيف في التصوف سبوكاً وثمره .

وأبو العباس أحمد الأدمى ، وهو القائل

« من أكرم نفسه داب الشريعة نور الله فيه بنور المعرفة ، ولا مقام

أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه »

وهو المائل :

« كل ما سئلت عنه فاطمه في مفارقة لعلم ، فإن لم تجده على ميدان

الحكمة ، فإن لم تجده قرنه بستر حيد ، فإن لم تجده في هذه المواضع

الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان » .

وأبو حمزة البغدادي كان عالماً بقراءات ، فقيهاً .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يثير أمامه لمسائل ثم يسأله :

« تقول فيها يا صوفي ؟ » .

وإذا أردت أن أسير على هذا النسق أمكن عدد مئات من الصوفية

العلماء .

ولابد للصوفي من العلم بسيرة رسول الله ﷺ حتى يحسن

الافتداء به ، فلا بد له - إذن - من قراءة كتب الحديث والسيرة ، وفي

ذلك علم كثير .

(١) سورة الأعراف ١٨٠

و مع أن صلة الصوفية بالعلم واضحة من خلال التاريخ ، فإنه يحسن بنا هنا أن نذكر ونذكر ببعض لأعلام في العلم والتصوف .
 إن الشيخ الأكبر^(١) معجزة من معجزات الدنيا ، لقد كان قمة في الفلسفة ، وكان قمة في التفسير ، وكان قمة في الفقه ، وكان قمة في اللغة ، وكان شاعراً . . وإذا أردت أن تقول إنه في العلم الكسبي لا مثيل له ، فإن لك من كتبه ما يرد قولك .
 بيد أن هذا العلم الكسبي يسير فيه - في كل أجزائه - تيارٌ إلهامى يتجلى في وصوص . .

ومن أجل هذه العظمة في إنتاجه يرى كثيرون ممن درسوا آثاره أنه أعظم شخصية علمية في العدم ، وهو - من غير شك - حسنة من حسنات أتباع محمد ﷺ .

والإمام لغز إلى ؛ إنه قمة في كل ما تذوله فهمه من أبحاث في الفقه وفي أصول الفقه وفي الفلسفة وفي التصوف ، وكتبه « إحياء علوم الدين » - وهو أصموا من هدى الكتب وأسسة - حلد على الدهر . .

والإمام الشعرني رحمه الله له من الآثار العلمية الكسبية إلهية ما لا يكاد يحيط به محيط .
 ونعود فنقول :

إن ذا النون لم يكن بدعا من الصوفية في الجانب العلمي ، وقد كان من صفات ذي النون البارره أنه كان طبعة ، وما سيحاته الكثيرة . لتي سندكر بعضها إن شاء الله - إلا أثرًا من آثار هذه الصفة البارزة .

(١) هو محيى الدين بن عربى

وكانت هذه لصفة تقود ذا اللون إلى ارتداد المجاهيل في
 لعلوم، كما كانت تقوده إلى ارتداد المجاهيل من الأقيام .
 وتبدو شخصية ذي اللون الحقيقية في وضوح، فيما يذكره عنه ابن
 لقطة في كتابه « حبر لعماء حبار حكماء » حيث يقول
 « ذو اللون من إبراهيم الإخميمي المصري، من طبقة جبر بن حيان
 في انتقال صناعة الكيمياء، وتلقد علم الباطن، والإشراف على كثير
 من علوم الفلسفة . . وكان كثير الملازمة لربا بددة إحميم، في بيت
 من بون احكمة القديمة، وفيها التصاوير العجسة وامثالات الغريبة،
 التي تريد المؤمن إيماء والكافر طعiana
 ويقال : إنه فُصح عليه عدم ما فيها بطريق الولاية، وكانت له
 كرامات » .

أما المسعودي - الذي توفي بعد ذي اللون بمائة سنة كاملة - وكان
 من مصدر تكلم عنه، فيحبرنا بأنه جمع معارفه عن ذي اللون من
 أهل إحميم، عندما رار هذا السد، وهو يروى عنهم أن أبا الفصح د
 اللون لمصري الإخميمي الزاهد كان حكيما، سلك طريقا خاصا،
 اتخذ في لدس سيرة خاصة، وكان من المعنيين بحل رموز البرابي هي
 إحميم، كثير الصواف بها وأنه وفق إلى حل كثير من صور
 والقوش المرسومة عليها^(١) .

وكان الإمام في هذا لطريق هو الإمام جعفر الصادق . . يقول
 صاحب كتاب « الصوفية في الإسلام » :

(١) الصوفية في الإسلام ص ٩٠٠ .

«جعفر الصادق - المتوفى سنة ١٤٨ هـ - يذكر عنه ، كما يقول صاحب « تذكرة الأوياء » ، أنه ألف رسالة في الكيمياء ، والمأل والتطير ، وإن جابر بن حيان - الكيميائي المعروف - كان يُدعى جابراً الصوفي ، وأنه تقلد ما تقلد ذوانبؤ المصرى « علم لساظر » . الذى يطلق عليه ابن لقططى اسم . « مذهب المتصوفين من أهل الإسلام » (١) .

وفى السلمى « دخل عليه فرأيت بين يديه طساً من ذهب ، وحوله نذ وعسر ، فأعطاني درهمأ ، فأنتقت منه إى أن وصلت إلى مقصى » .

ويقول المسشرق نيكسون :

« ويؤثر عنه أنه أول من وضع تعريفات للوحد والسماخ ، وعرف التوحيد بالمعنى الصوفى ، فسمأ ذكرناه . فمأ أعتقد . ما يكفى لدلالة على أن ذا النون لا أن يزيد اسطامى - كما يعتقد مستر هونفيلد - كان له أكبر الأثر فى تشكيل الفكرة الصوفية » (٢) .

وعن عبد احكم بن أحمد بن سلام صدفى قال سمعت ذا النون المصرى يقول .

« قرأت فى باب مصر بالسريانية . فتدبرته . فإذا فيه : يقدر المقدرؤ والقضاء يضحك » .

ولعل مما يتصل بهذا الجاس - الجاسب العدمى - وببيره بصورة أوضح ، أن ذكر الآن تقدير العلماء لدى النون . .

(٢) الصوفية فى الإسلام ص ٨

(١) لصوفية فى الإسلام ص ١١

قال أبو المحاسن : « إن ذاك لنول كان أول من تكلم في مصر في
الأحوال ومقامات أهل الولاية » .

وقال عنه مسلم بن قاسم « كان عالماً صالحاً هادئاً ورعاً متبناً في
العلوم ، واحداً في عصره » .

ويقول حمى . « هو رأس هذه الفرقة ، فانكل أخذ عنه ، وانتسب
إليه . وقد كان متابعاً فيه ، ولكنه أول من فسر إشارات الصوفية
وتكلم في هذا الطريق » (١) .

« وهو أحق رجال الصوفية - على الإصلاق - بأن يطلق عليه اسم
واضح أسس التصوف » (٢) .

« وهو العارف الناطق بالحقائق » (٣) .

« وكان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ، وفي مقامات
الآرياء فحول الرجال ، فكان جهة المتفهمة إليه زليق » (٤)

ويتحدث عنه صاحب « الحلية » فيقول :

« ومنهم العَلَمُ لَمْضَى ، والحَكَمُ الْمَرْضَى ، الماصق ، لِحَفَاتِق ، المصتق
للمصراتق . له العبارات الوثيقة ، ولإشارات الدقيقة ، بصر فعمر ،
وذكر فاردحر ، أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري ، رحمه الله
تعالى » .

وأقدم « سهل التتري » سنين لا يسند ظهره للمحارب ولا يتكلم ،
فلما كان ذلك يوم نكى ، وسد وكنم ، وباع في أسرار المعاني
العجبية والإشارات الغريبة . فقبل به فيه ، فقال

(١) ، ١٢ الصوفية في الإسلام ص ٧ (٢) ، ١٤ ، ١٤ الكواكب المندرة ص ٢٢٣

« كان ذو النون بمصر حياً فما تكلمت ولا استندت إجلالاً له ،
والآن قد مات فقيل لي تكلم فقد أدت » (١)
وقال ابن يونس :
« كان عالماً فصيحاً حكيماً ، امتحن وأودى لكونه أتاهاهم بعلم لم
بعهدوه »

تقديره للعلم :

قل ذو النون :

« كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا ، وتركاً لها .
واليوم يزداد الرجل بعلمه تسدياً حياً ولها طلباً ..
كان الرجل ينفق ماله على علمه ، واليوم يكسب لرجل بعلمه مالاً ..
كان يُرى على صاحب العلم زيادة في ظاهره وباطنه . واليوم يُرى
على كثير من اهل العلم فساد الطاهر والباطن »
وكان يقول لعلماء :

« أدركت الناس واحدهم كلم ازيد علماً رداد في الدين رهد ، وبعضاً
.. وانتم اليوم كلما ارداد احدكم عما ارداد في الدنيا حياً وطلباً ومرتحة
.. ادركناهم وهم ينفقون الاموال في تحصيل العلم وانتم اليوم تنفقون
العلم في تحصيل المال » ..

وكان يقول موحياً الحديث للعلماء في صلتهم بالحكام وذوي

بيسار .

(١) الكوكب النورية ص ٢٢٣ .

« العجب - كل العجب - من هؤلاء العلماء: كيف حصعوا المخلوقين دون المخلوق، وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق »^{١٩}
 ومثل حديثه عن الحديث لم لا تستغن به ؟
 فقال

« للحديث رجال ، وشغلي بنفسى استغرق وقى ، والحديث من أركان الدين ، ولو لا نقص دخل على أهل الحديث والعقده لكانوا أفضل الناس في زمانهم ، ألا ترهم بذلوا علمهم لأهل الدنيا يستجلون دنياهم فحجبوهم واستكبروا عليهم ، وافسحوا باندنيا لما رآوا من حرص أهل العلم والمتفقهين عليها ، فخذوا الله ورسوله ، وصار إثم كل من تبعهم في عنفهم ، جعلوا العلم فخاً للدنيا ، وسلاحاً يكسبونها به بعد أن كان سراجاً للدين يستضاء به »

ويحمل ذو النور حملة قوية على كل من يحرف في سبوكه من العلماء فيقول :

« قد غيب على العبد ولسناك والقراء - في هذا الزمن - التهاون بالذنوب حتى غرقوا في شهوة بطوبهم وفروجهم ، وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون ، أقبلوا على أكل الحرام ، وتركوا طلب الحلال ، ورصوا من العمل بالعلم . يستحي حدهم أن يقول - فيما لا يعلم - : لا أعلم .

هم عبيد الدنيا . لا عماء بشريعة ، إذ هو عمو بالشريعة لمعتهم عن القبائح .. إن سأنوا الحوا ، وإن سأنوا شحوا ، ليسوا الثياب على

قنوب الذناب ، اتخذوا مسلجاً لله التي يُذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم
باللغو والحدال ، والقليل والقليل ، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها
الدنيا ، فاياكم ومجالستهم » .

ونُتِي هَذَا مَمْدُوحٌ مِنْ إِحْبَابِ ذِي الثَّوْنِ عَنْ بَعْضِ الْأَسْئَلَةِ :
يُرَوَّى أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، قَالَ : قَالَ بَعْضُ الْمُتَعَبِّدِينَ :
كُنْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الثَّوْنِ مِصْرِي مَكَّةَ ، فَقُلْتُ لَهُ
- رَحِمَكَ اللَّهُ - بِمِ صَارَ الْوَعُوفُ بِحِمْلٍ وَلَمْ يَصِرْ بِالْكَعْبَةِ ؟
قَالَ :

« لِأَنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ ، وَالْجِبِلُّ بَابُ اللَّهِ ، فَلَمَّا قَصَدُوهُ وَفَدَيْنَ أَوْقَفَهُمْ
بِأَبْوَابٍ يَتَضَرَّعُونَ »

فَمِيلَ لَهُ : بِرَحِمَتِ اللَّهِ ، فَالْوَعُوفُ بِالْمَشْعَرِ حَرَمٌ كَيْفَ صَارَ
بِالْحَرَمِ ؟
قَالَ :

« لَمَّا أُذِنَ لَهُمْ بِالْدُخُولِ إِلَيْهِ أَوْقَفَهُمْ بِالْحِجَابِ الثَّانِي وَهِيَ الْمَزْدَلِفَةُ .
فَلَمَّا طَالَ تَصَوُّعُهُمْ أَمَرَهُمْ بِمُغْرِبِ قُرْبِهِمْ فَنَظَّهَرُوا بِهَا مِنَ الذُّنُوبِ
الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ حِجَاباً دُونَهُ وَأُذِنَ بِالزَّيَارَةِ إِلَيْهِ عَلَى طَهَارَةٍ » .
قَالَ لَهُ : عَلِمَ كَرُّهُ الصَّوْمِ أَمَامَ انْتِشَارِهِ ؟
قَالَ :

« لِأَنَّ الْقَوْمَ رَأَوْا اللَّهَ ، وَهُمْ فِي ضِيَافَتِهِ ، وَلَا يَسْغَى بِلَصِيفٍ أَنْ
يَصُومَ عِنْدَ مَنْ أَضَافَهُ » .

مِيلَ لَهُ : بِرَحِمَتِ اللَّهِ ، فَتَعَلَّقَ الرِّجْلُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ لِأَيِّ مَعْنَى ؟

قال :

« هو من الرجز تكور ببدنه وبين أخيه حناية : فيعلق بسوئه ،
ويتصرع إليه : ليعفر له جُرمه وجنايته »

ويروي سعيد بن عثمان الخياط ، يقول :

سمعت ذا النون يقول : وقد سأله رجل :

« أأ الفيصر ، رحمتك الله ، من أراد التواضع كيف أسيل إليه ؟
فقال له :

« افهم ما ألقى إليك ، من أمر التواضع فيوجه نفسه إلى عظمة الله
فإنها ندوب وتصفو ، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه ،
لأن النفوس كلها حفيرة عند هيبته ، ومن أسرف التواضع أن لا ينظر
إلى نفسه دون الله ، ومعنى قول النبي ﷺ :

« مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ » ..

يقول :

« من تدلّل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعة الله بعزّ الانقطاع لله ،
وبعد :

وربما يختم هذا الفصل بقول ذي النون

« تَكَلَّمَ لِنَاسٍ مِنْ عَيْنِ الْأَعْمَالِ .. وَتَكَلَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الْمَنَّةِ »

* * *

الصُّوفِيُّ؟

إنه من إذا نطق أمان نطقه عن الحقائق، وإن سكت سكتت عنه
أجوارح بقطع العلائق

الصوفية ؟

إنهم قوم أثروا الله على كل شيء ؛ دثرهم الله على كل شيء .

ـ من أين جاء هذا الاسم ؟

لقد سئل ذو النون لم لمرتم هذا الاسم - اسم التصوف - وهل هو
مشتق من معنى ، أو لقب ؟

فما :

« قيل: إن اسم الصوفية كان في الأصل «صُفوية» من الصفاء، وذلك
أنهم يسفرون العمل ويكتمونه فلا يشوبه الرياء.

وقيل: إنهم كانوا في الأصل «صُفْتِيَّة»، مأخوذ من أهل «الصُّفَّة»

وقيل : إنه اسم لزمهم على غير اشتقاق ، وإنما هو لمن تبثل منقطعاً
إلى الله من العباد، فأنخلص للمجاهدة.

وقيل: إنه عَلَمٌ غير مشتق من اسمه ولا عمل.

وكنوا يلبسون الصوف ؛ لأنه ادعى إلى النقشف ، وأشبهه بلباس
الصالحين.

وكان التصوف سمة المجتهدين في العبادة «

الطريق :

من طرائف ذي النون أنه سئل عن السَّئِئَةِ من هم ؟

فصل .

« مَنْ لَا يَعْرِفَ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا يَتَعَرَّفُهُ » .

وَالْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ سَجَنَهُ وَتَعَالَى سَعَادَةُ

وَيَقُولُ ذُو النُّونِ :

« يَا أُولَ الْأَعْيُنِ نَظِّبُهُ قَدْرَكَ وَبِجَدِّهِ »

لَا يَدُ مِنَ الْمَدِّ بِالطَّلَبِ ، وَالطَّلَبُ فِي إِخْلَاصٍ وَصَادِقٍ ، وَهَذَا

صَرِيحُ الْإِيمَانِ

وَمِنْ طَرِيقِ الْأَحْسَاءِ فَلَا شَرْطَ لَهُ . إِنْ أَلِهَ سَجَدَ وَتَعَالَى يَقُورُ

﴿ اللَّهُ بِجَنَّتِي إِلَهٍ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١)

لِتَصْرِفَ - إِذَنْ - طَرِيقَ لَاجْتِنَاءٍ ، وَطَرِيقَ الْإِنَابَةِ وَعَنِ

دُنْكَ يَعْرِدُ الْوَسْوَاسُ فَيَقُولُ - فَمَنْ يَرَاهُ يَوْمَئِذٍ - حَسْبُكَ .

سَمِعْتُ ذَا النُّونِ يَقُولُ :

« الْعَطَايَا مَوَاهِبُ ، وَالطَّاعَاتُ مَكَاسِبُ ، وَالنَّاسُ رَجَالٌ

دَارِجٌ ، وَوَاصِلٌ ،

.. قَالِدَارِجٌ سَدُّرٌ عَلَى صَرِيْقِ الْإِيمَانِ

.. وَالْوَاصِلُ طَائِرٌ بِقُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ .

.. وَلِكُلِّ دَلِيلٍ ' قَدْلِيلُ الْإِيمَانِ ' الْعِلْمُ . وَدَبِيلُ الْمَعْرِفَةِ ' إِلَهٌ تَعَالَى .

.. فَمَتْنِي يَلْحَقُ أَسَانِيرُ الطَّائِرِ »

وَيُحْصَى ذُو سَوْنِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ ، وَالسَّعَادَةُ الَّتِي تَشَأْنِي عَنْهُ فِي

أَسْجَارِ مُحْكَمِ حَمِيلٍ ، فَيَقُولُ

(١) سورة النمل ١٣

« إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله، فإذا خاف الله تولدت من الخوف هبة الله، فإذا استقرت عنده درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولد من اطاعة الرجاء، فإذا استقرت درجة الرجاء تولدت من قبل الرجاء المحبة، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه استتعت درجة الشوق، فإذا اشتاق دأه شوقه إلى الأنس بالله، فإذا سر بالله اطمأن إلى الله، فإذا اطمأن إلى الله كان ليلة في نعيم، ونهاره في نعيم، وسره في نعيم، وعلايته في نعيم »

ومدار الطريق - فيسا يرى دور السور - على أربع :

« حب الجليل، وبعض الفتي القليل، وأتباع لنزير، وخوف انحوليل ».

وينبغي للمريد أن يحكم الأصل، ثم يطلب الفرع، كيف يسأل عن الرهد وهو لم يحكم الورع، وقل الورع السوية، ولربى نصرت إلى امرجل يسأل عن ارضاء وهو لا يدري ما التسرع وإنا لا نتحدث هنا عن طريق الاحتساء فوائده في حقيقة الأمر ليس طريقاً بالمعنى العادى :

إنه جذبة من جذبات الحق في لحظة بعدها يتبدل المرء حالاً بعد حال، ويدخل رحاب الحق - حل وعلا - عبداً من عبادة المحلصين عند اختارته العتية منذ الأزل، وأدركته في الوفاء الذي اختارته
احكمة

أن طريق الإيالة فهو الطريق بالمعنى العادى لمكتمه، ولا بد فيه من اصط، فإذا صدقت الية في الطلب وصدق العزيمة جاءت الهداية :

﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١).

وإن قلّة تُسَفِّ إنسان - كما يقول ذو النون - على حق بما تكون من
قلة قُدْرَ لحق عنده ، فإد ، عرف ، لإسبب قُدْرَ الحق فإنه يسعى في
طلبه .

ما هو أول القَدَم الصادق في طلب الله سبحانه ؟
إنه القرار - من كل شئ - إلى الله :
﴿ قَفِرُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢).

التوبة :

وأول مقام في القرار إلى الله التوبة الصادقة ، حتى يبدأ المسير إلى
الله على طُهر ، وحتى يكون العهد مع الله على ترك المعاصي ،
وتوبة العوام من الذنوب ، ونوبة الخواص تكون من العصاة .
يقول ذو النون :

« لله عدد تركوا الذنوب حياءً من كرمه ، بعد أن تركوها خوفاً من
عقوبته » .

« ولو قال لك الله تعالى افعل ما شئت ، فليست آخذت بذنب ، لكان
يبلغى أن يزيدك كرمه استحياءً منه ، وتركاً لمعصيته ، إن كنت حراً
كريمًا عبداً شكوراً .. فكيف وقد حذرك ؟ »

وهذا الذي يقوله ذو النون إلى سائلهم فيه قول رسول الله ﷺ :
« نَعَمْ الْعَبْدُ صُنْهِيبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَخْصِهِ »
لم يعصه حياءً منه ، وهذا من صفات أصحاب النفوس الكريمة

(١) سورة انشورى - ١٣

(٢) سورة الداريات - ٥١ .

المريد:

ومنذ أن يبدأ الإنسان الطريق بالتوبة الصادقة، يسمى « مُريدًا »
ويوالي ذو النور الصبح للمريد ومن كلامه
« إياك أن تكون للمعرفة مُدعيًا ، أو بالزهد محترقًا ، أو بالعبادة
معلقًا ، وفِرَّ من كل شيء إلى ربك » .
وتحديري ذو النور من استعلق بالعبادة إنما هو توجيئه إلى أن يرقى
في مقامات لقرب إنما مرده إلى اسمه سبحانه ، لا إلى العبادة
وبذلك يحب أن يكون تعلق المريد دائماً بالله ، لا بأعماله
وليس في طريق لقرار إلى الله عقبات ، وذلك أن الرزق مضمون
والرزاق موجود ، يقول ذو النور معاتباً للذين لا يفرون إلى الله :
« إن الله رزقنا قوتنا ، وعلقنا دون طاقتنا ، فلا بما رزقنا
اكتفينا ، ولا بما كلفنا ائتمرنا » .

ودو النور في بصره للمريدين يحذرهم - باستمرار - « الدني » .
والدنيا في عرف الصوفي إنما هي الشهوات والأهواء ، وقد عبر
الله سبحانه عنها بقوله :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا فَكَاثِرٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ إِنَّ ظِلْفَ الْأُنْثَىٰ وَتِلْكَ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ١٠ ﴾ (١)

(١) سورة الحديد . ٢٠

ويثوله سبحانه .

﴿ رَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ ١١

ويثول ذو النون :

« استقرت منازل ادُّحى . وثبتت حُجج الله على خلقه . فآخذ بحظه .
ومُضْبِعٌ لنفسه . فمذره حكمه . وحُجَّتُه كُتُبُه . فعانت الدنيا بيهجتها
فانعدت المرید . وألهمت العافل . فلا المرید طلب دواءه . ولا العاص عرف
دواءه .

ثم خص الله حصائص من خلقه . فعرفهم حكمه . فنتظروا من عي
الغُيوب إلى محجوب بغيوب . فساحت أرواحهم في ملكوت السماء . ثم
عادت إليهم بطيب جنى ثمار السرور . فعند ذلك صرُّوا الدُّنْب معبرا .
والآخرة مبرلاً . همَّتهم وقلوبهم عند ربهم .. ولن تقنى النفس إلا بالعلم
بإله »

وقد سئل عن الآفة لنى يُحدِّع بها المرید عن الله . فقال
« يُرِيه الألطاف والكرامات والآيات »

قبل له : يا أب اميِّص . ضم يُحدِّع قس وصورة إلى هذه الدرحة ؟
قال : « بوطء الاعتب . وتعظيم الناس له . والوسع في المجالس .
وكثرة الاتباع . فنعوذ بالله من تكره وخدعه »

(١) سورة آل عمران . ١٤

قال : وسمعت ذا النون ، وقد سئل :

« ما أساس قسوة القلب للمريد ؟ »

فقال :

« ببحنه عن علوم رضىت نفسه بتعليمها دون استعمالها والوصول

إلى حقائقها »

ومن أهم اسوأحي التي كـ يهتم بها ذو النون « هي نصائح

للمريدين « هي » الادعاء » . . .

فهو يقول مثلاً :

« كل مدح محجوب بدعواه عن شهود الحق .. لأن الحق شاهد لأهل

الحق ، لأن الله هو الحق ، وقوله الحق ، ولا يحتاج أن يدعى إذا كان

الحق شاهداً به . فأما إذا كان غائباً حينئذ يدعى وإنما تقع الدعوى

للمحجوبين »

وقال

« من ادعى مقاماً حجب به عن الله » .

والمحققون لا يدعون . يقول ذو النون

« كلف السعة المحققين عن ادعائى . ونطقن السعة المدعى

بالدعوى » .

ويصح المريد بالتزام العبودية :

« والعبودية ان تكون عبداً فى كل حال ، كما هو ربك فى كل حال »

وإذا خرج مريد من حورة الأدب يرجع إلى حيث شاء

ولكى يستفيد المريد لابد له « مع الأدب » من الوضوح . .

يقول ذو النون :

« يا معشر المريدين : من اراد منكم انصريق قليق العلماء باظهار الجهل ، وانزهاد باظهار الرغبة ، والعارفين بالصمت . وذلك : ليزيده العلماء علماً ، والزهاد زهداً ، والعارقون معرفة »

قال الله تعالى

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠ ﴾

ولقد حرص ذو النون - احرص كنه - أن يجعل طريق المريدين أوامر الأمر طريقاً رابياً ، فيبين المسالك والنهايات
لقد بين علامات لاسحراف وعلامات القبول عن سعيد بن عثمان عن أبي النضر دي النور المصري ، قال :
« إن لله تصفوة من خنقه ، وإن لله خيرة من خنقه » .
قيل له : يا أبا نضر ، فما علامتهم ؟
قال

« إذا خلع العبد الراحة ، وأعطى المجهود في اطاعة ، وأحب سقوط المنزلة »

قيل له : يا أبا النضر - فما علامة إقبال الله - عز وجل - على العبد ؟

(١) سورة التوبة - ٦٠

قال :

« إذا رأيته صبراً ، شاكراً ، ذاكراً ، فذلك علامة إقبال الله على العبد » .
قيل - وما علامة إعراص الله عن العبد ؟

قال :

« إذا رأيته ساهياً ، لاهياً ، مُفْرِضاً عن ذكر الله ، فذاك حين يُعرض الله عنه »

ثم قال :

« ونحك ، كفى بالمُعْرِضِ عن الله خسراناً ، وهو يعلم أن الله مُقْبِلٌ عليه وهو مُعْرِضٌ عن ذكره » .

قيل له . يا أبا الميصر ، فما علامة الانس بالله ؟
ول :

« إذا رأيته يُؤْنِسُ بِخَلْقِهِ ؛ فإنه يُوحِشُكَ مِنْ نَفْسِهِ .. وإذا رأيته يُوحِشُكَ مِنْ خَلْقِهِ ؛ فإنه يُؤْنِسُكَ بِنَفْسِهِ » .
ثم قال أبو الميصر .

« الدنيا والخلق لله عبيد ، خَنَفَهُمُ لِلطَّعَةِ ، وَضَمَنَ لَهُمُ ارْزَاقَهُمْ ، وَنَهَاهُمْ وَحَذَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ ، فَحَرَصُوا عَلَى مَا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَطَلَبُوا الْأَرْزَاقَ - وَقَدْ ضَمَّنَهَا اللَّهُ لَهُمْ - فَلَا هُمْ فِي ارْزَاقِهِمْ اسْتِرَادُوا ، وَلَا هُمْ لِلطَّعَةِ اسْتَجَابُوا » .

ثم قال :

« عَجَباً لِقُلُوبِكُمْ .. كَيْفَ لَا تُنْصَدِّعُ !! .. وَلَا جِسْمَكُمْ .. كَيْفَ لَا تَتَضَعُّعُ !! .. إذا كنتم تسمعون ما أقول لكم وتعقلون !! » .

ومن أقواله :

« إن المرید إذا صدق سعيه فيما بينه وبين الله حلّاه في صدور المؤمنين . وحلّى ذكره في أفواه المحسنين : شغلهم شغل يغلب على جميع الاشتغال . وحبهم به يحول بين الأهل والمال »
ويوجب ذو السور على المرید ألا يقول شيئاً إلا إذا كان مسنداً إلى حجة من الكتاب والسنة ، وفي ذلك يقول :
« أشدُّ المریدين نفاقاً - من لحظ لحظه . أو نطق بكلمة بلا حجة استبانها فيما بينه وبين ربه » .

وقال :

« أخفى المرید من ثقافتها : من تكلم بكلمة . أو عدل عملاً على سبيل العفلة . ثم سئل عن الحجة في ذلك فاحتج بحجة لم تقع له قبل الفعل استناداً عن أساس واستحساناً بقوله » .
وستهي في هذا بهذه النصيحة التي يسديها ذو السور للمريدین
عن العباس بن حمزة ، قال .

« دحيت على ذي السور وعنده نفر من المریدین وهو يقول لهم :
« نوسدوا لموت إذا نمت . واجعلوه نصب اعينكم إذا قمتم . كونوا
كانكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولابد لكم من الآخرة » .

الذكر :

إن المرید ، بعد أن يأخذ على شيخه العهد على السوية ، يبدأ فيما
يبدأ به - بالذكر .

و يذكر في عرف تقوم ركس مهم من لأركان التي لابد منها
للقرب من الله سبحانه وتعالى .

ولقد أمر الله تعالى بذكر الله سبحانه وأمر بالذكر الكثير ، ولم
يحدد له وقت وإنما أضيقه إطلاقاً ، فهو مطلوب في الصباح ، وفي
المساء ، وفي الأصال ، وفي الصبح ، وفي الليل ، وفي كل وقت
ولم يحدد الله سبحانه له حانة بعينها ، فهو مطلوب إذا كان
الإنسان قديماً ، وإذا كان قديماً ، وإذا كان مصطحباً
وقد جعله الله من صفات ذوى الألباب .

ورتب الله عليه الكثير من الثرائد للبعد في دبه وفي أخراه
و لا سيما من يذكر حور الله سبحانه في شأنه

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (١)

ويقول سبحانه :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
أَنْهَاراً (١٢) ﴾ (٢)

ويقول رسول الله ﷺ :

« من نوى الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم
فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

(١) سورة حمود ٩٠

(٢) سورة مريم ١٠ ١٢

ويقول - صلوات لله وسلامه عليه -

«أُعْطِيتُ أَمَانِينَ لَأَمْتِي» ثم تلا

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١).

ثم قال « فإذا مضيت بقي الأمان الثاني : الاستغفار »

وكثرة التسبح من الوسائل المنجية ، يقول سبحانه .

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢)

ويقول سبحانه

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (٣)

و لصلاة على رسول الله ﷺ من الذكر ، وعنها يقول الشاعر

إذا كنت في ضيق وهم وفاقة وأمسيت مكروباً وأصبحت في حرج

فصل عسى المختار من آل هاشم خيراً : فإن الله ياتيك بالفرج

أما الفائدة كبرى للذكر لصافي المحلل ، فهي القرب من الله

سبحانه .

والصوفية يستعملون الذكر للقرب من الله تعالى

ولدى سون الكثير فيما يتعلق بذكر إله يقول

(٢) سورة الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤

(١) سورة الأنعام : ٣٣ .

(٣) سورة القلم . ٢٨

« من القلوب قلوب تستعفر قبل ن تُذنب؛ فتُتاب قبل أن تُطيع »

والله سئل عن الذكر ، فقال

« هو غيبة الذاكر عن الذكر »

ويقول

« من ذكر الله ذكراً على الحقيقة : نسي في جيب ذكره كل شيء .

وحفظ الله عليه كل شيء ، وكان له عوضاً عن كل شيء »

ومن كلام ذي النون :

« من استأنس بسبيء من الدنيا لم يجد صافي لذه ذكر مولاه »

وقال أبو جعفر المعري سمعت ذا النون يقول

« إذا أكرم الله عبداً ألزمه ذكره ، وألزمه يديه ، وتعرف إليه بالبر

والفوائد ، ومدّه من عنده بالزوائد ، ويصرف عنه تشغال الدنيا .

ويصرف عنه البلايا ، فيصير من خواص الله وأحبابه . فطوبى له

حياً وميتاً .

لو عم أبناء الدنيا يحظّ المقرّين وللدُّذاكرين وسرور المحنّين

لماتوا كمّداً » (١) .

وقال ذو النون :

« من المحال أن تجد طعم ذكره ، ثم لا يشغتك به عما دونه »

وكبر ذو النون سه إى أن من علامة إعراض الله عن العبد :

« أن نراه سامياً ، لاهياً ، لاغياً ، مُعرّضاً عن ذكر ربه . تتقلُّ عليه

مُجائسةُ الذاكرين » .

(١) أخرجه البيهقي

وَكُنْ يَتِيهًا إِلَىٰ آلِهِ:

« لكل قوم عقوبة. وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكره »
وروى عن يوسف بن حسين قال سمعت داود بن ثور يقول:
« ان ينال احد اليقين في المعرفة والتوكل الا بدوام ذكر الله بالقلب،
وكثرة مناجاته . وقطع ما شغل العقوب عن ذكر الله . والله ولي
المؤمنين »

الورع:

ويعود إلى التوبة من جديد ويتحدث عن آثارها
إن التوبة إذا صدقت استتعت . لا محالة . الورع .
والورع هو تحريُّ احلال في كل شيء ، وبه شأنه عظيم في
التقوى ، وفي تنوير القلب .
ولقد تحدث رسول الله ﷺ عن تحريِّ احلال منسفاً مع القرآن
الكريم في ذلك :

عن عطاء عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبي ﷺ
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (١) . فقال سعد بن
أبي وقاص : فقرب يا رسول الله ، أدع الله أن يجعلني مستجاب
الدعوة ، فقال ﷺ :

« يا سعد ، أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة . والذي نفس محمد
بيده ، إن الرجل لحذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين
يوماً ، وأبما عبد نكت لحمه من السحت والربا فالتار أولى به » .

(١) سورة البقرة - ١٦٨

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
 « يا أيها الناس .. إن الله طيبٌ ، لا يقبل إلا طيباً .. وإن الله أمر
 المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 عَلِيمٌ ﴾ (١)

وقال

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (٢)
 ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ومطعمه حرام ، ومشربه
 حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، يعدُّ يديه إلى السماء : يا رب
 يا رب ، فأني أستجاب لذلك (٣) .
 ويقول ذو النون :

« من لم يفتش على الرغيفين من الحلال لا يفتح في طريق الله - عزَّ
 وجلَّ »

ودو النون - متاعا لشران والسهة - لا يقصر الورع على الجائ
 المدى ، وإنما يعممه على كل شيء ، فقد قال له رجل مره
 - إن مرأتى تقرأ عيبك السلام . فقال ﷺ
 « لا تقرأونا من النساء السلام » .
 إنه يحب أن يعيش في سلام مع قلبه ونفسه

(٢) سورة البقرة ، ١٧٢

١٠ سورة مؤمنون ٥١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، والترمذي في جامعه ، والامام أحمد في مسنده

على أن أمر الورع لما دى سهل بالنسبة لذى النون ومن اتبعه على طريقته، لقد وصل ذو النون - الحياة المادية بالنسبة للمريد إلى حدها الأدنى، إنه يقول للمريد:

« من طلب مع الخبز ملحاً يأكله لم يفلح فى الطريق أبداً »
وكان ذو النون يعنى بذلك ألا يكلف الإنسان شيئاً، فإذا وجد
الخبر حلال فقيه الكفاية، ولله الحمد والشكر، وإذا وجد - ذو
طلب - مع الخير شيئاً آخر فإن فصل الله عظيم وله الحمد والشكر
وكان ذو النون يحذر دائماً من لجرى وراء شهوة الطعام، إنه
يقول:

« لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاماً »

وكان يقول:

« ما شبعنا من الطعام - قط - إلا عصيت أو همت بمعصية » .
ولكن الأمر الشاق فى الورع هو الجانب الروحى، وهذا لا بد له
من جهاد النفس حتى تتزكى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (١)

وهذا النوع من الجهاد مرسىه ذو النون حتى تعلب على نفسه
وهو، وسيصر - بفصل الله - عليهما، وقال كلمته التى صدرت بها
هذا الكتاب:

« كيف لا أبتهج بك سروراً، وقد كنت أكدح ببابك حتى جعلتني من

أهل التوحيد »

(١) سورة الشمس ٩

الزهد:

ورد صدق الإنسان في عورخ فاده دلت في زهد، والزهد هو
استغن عن ماله تعالى

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَواَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (١)

إيه عدم تعلق القلب بالسي، أو هو سيطرة الإنسان على دنياه
حيث لا تستعبده . إيه

ألا يملكك شيء ولا يسعبدك شيء

نقد تحدث ذو اللون عن الزهد ، وليس بعض تعريجات الناس له ،
فقال

« عباد - حواشي - أن الناس قد تكلموا في الزهد بغير محسنة .

فبعضهم قال :

« الزهد ترك حبّ المنزل » .

وقالت طائفة .

« الزهد ترك راحة النفوس من جميع ما تستريح إليه »

وقالت طائفة :

« الزهد ترك ما شغل عن الله »

وقالت طائفة

« الزهد رقص الدنيا وقصر الأصل » .

وقالت طائفة

« الزهد الثقة بالله » .

وقالت طائفة :

« الزهد الإيثار لله وترك كل ما شغل عن الله » .

وقالت طائفة :

« الزهد إخراج المخلوقين من القلب، وحب الخلوة »

ولعل ذا النون كان يرى أن كل هذه التعريفات صادقة ، والواقع أنه لا يتأتى أن يكذب الإنسان تعريفاً سهواً ؛ فكلها موجهة إلى الخير ، وإلى الرشاد . بيد أن ذا النون يضيف إليها - هنا وهناك - توضيحاً جديداً لبعض زواياها . . . ولقد قال :

« اعلّموا أن صفة الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود »

وقال

« سبب الغنى من حرم الرضا، ومن لم ينععه اليسير افتقر في طلب

الكثير » .

وقال

« من وثق بالمعاديير لم يغنم » .

وقال :

« من عرف الله رضي بالله وسر بما قضى الله »

وقال

« عليك بالقصد . فإن ارضا بقليل الرزق يزكى يسير العمل » .

ومحب يمكن من أمر الزهد ، ومهما يكن من مرلته الرميعة في التقوى ، فإنه ليس إلا مرحلة في الطريق .
يقول ذو النون عن الزهاد :

« الزَّهَّادُ مُبْكٍ الْأَحْرَةُ ، وَهُمْ فَقَرَاءُ الْعَرَفِينَ »

ومرة أخرى يقول :

« وَهُمْ مَسَاكِينُ الْعَارِفِينَ »

يريد مرحلة ، إنه مرحلة ضرورية ، وهو يستلم إلى التوكل

التَّوَكَّلْ :

و يتوكل من مقامات السمية ، ولقد وعد الله سبحانه ان يكون

حسب المتوكلين ، فقال :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (١)

وشرح ذو النون بعض جواب التوكل فيقول - كما رواه يوسف

ابن الحسين - :

« ب. انه خسر ان اولى ولايته بالانقطاع إليه ، ليعرفهم فضله وبعثانه

فانصرف هموم الدنيا عن قلوبهم ، وعظم شغل الآخرة في صدورهم ،

لما ركبها من هيبة ربهم ، فالزموا قلوبهم العبودية ، وطرحوا انفسهم

في ساحة التوكل » .

قل الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٢)

« فالمتوكل على الله قد اكتفى - بعينه - بالله - عن الاشتغال بغيره :

حتى اتصل خوفه ورجاؤه بالله ، لأنه لا مانع ولا معطي إلا الله ، فلم

ترغب عن الله بجهلك ؛ فتخضع لمن دونه عند تخويف الشيطان !!»

(١، ٢) سورة الطلاق ٣

واعلم أن أخص المتوكلين عليه ، يحجب عنهم كل آفة ، فهم منتظرون إلى الله تعالى ، ولا ياملون غيره ، فقد حجب قلوبهم عن سواه ، بما يرجون من إحسانه ، واستغنوا بذكره عن ذكر غيره .

واعلم أنك لا تكون متوكلاً حتى تصفو من كل مالك ، ولا ترى إلا الله وحده ، ولا تقدر أن تفر من رزقك ، كما لا تقدر أن تفر من الموت ..
أما سمعت الله يقول:

﴿ اللَّهُ لَذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (١)

فاقطع الاشتغال بذكر الأسباب من قلبك ، واعلم أن الله يرزقك بسبب وبغير سبب ، ألا ترى أنه وعدك أن يرزقك ، وعيب عند علمه ، وبو احتلت - بكل حيلة - أن ياتيك قبل وقته أو بعد وقته لم تقدر على ذلك فيما قصد لك ، لا يمنعك غيره .

« والتوكل يزيد وينقص مثل الإيمان »

أما قوله :

« فاقطع الاشتغال بذكر الأسباب من قلبك » . فإنه هو وما حاشه من تعبیر اب الی تتحدث عن لتوكل ، فد آثار الخیر من سوء المہم ، ومن اجدر الشئ عن سوء لفہم ،

إن رسول الله ﷺ وكر أصحابه من أمثال أبي بكر بن عبد الله وعمر ، وخالد بن الوليد ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص بن أبي جهم وعبرهم ، كما من كبار المتوكلين على الله سبحانه ، وكانوا - وعلى رأسهم الرسول ﷺ - يتحدون لكل أمر

عدته ، فى الحرب ، وفى السعى عسى المعاش ، وفى تدبير الأمر ابدى
يوكل إليهم .

وكل ذلك أتباعاً لوجهات القرآن الكريم .

﴿ فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ (١)

﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٢) .

﴿ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَحُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

لقد اتخذ أسلاف رضوان الله عليهم لأسباب كل أمر ، والعدة
لكل حادث . ولكنهم لم يعتقدوا - فى يوم من الأيام - أن الأسباب
هى القاعدة ، إنها ليست إلهاء ، والفاعل الحق هو الله سبحانه ؛
ومن هنا كان :

« إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ . وَإِذَا اسْتَعَنْتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ »

إن الأسباب ليست مؤثرة بنفسها ، وكل أمر مرجعه إلى الله :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ (٤) .

إن الصالحين يتحدون لكل أمر عدته ، ولكنهم لا ينسبون أمر
الفاعل هو الله ، إنهم لا ينسبون الله فى ابتداء . فهو الموفق ،
ولا ينسبون الله فى الوسط . . . فهو الميسر ، ولا ينسبون الله فى
الآخرة . فالإله المصير :

(٢) سورة الأنفال : ٦٠

(١) سورة الملك : ١٥ .

(٤) سورة هود : ١٢٣

(٣) سورة المرحس : ٢٠

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَنَى أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَوْلَتْهُمُوهُ مِنْ لَمْرِنٍ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) ﴾ (١)

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبَا وَقَضَا (٢٨) وَزَيَّنَّا وَنَحَلَّا (٢٩) وَحَدَّائِقَ غُلًّا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) ﴾ (٢)

و نظر معى إلى قومه تعالى :

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُسْوَئُكُمْ عَلَيْهِمْ رَيْشٌ صَدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٣)

وايات الجهد فى التراب . و يات . عمل . وايات كسب الرزق
إن كل ذلك حث على الأخذ به لأسياب .

(٢) سورة عيس . ٢٤-٣١

(١) سور . الواقعة ٥٨-٧٢

(٣) سورة التوبة : ١٤

ومع ذلك فإن السبب الأول ولعالم الأخير مرده إلى الله
ولقد كافح رسول الله ﷺ كفاح الأبطال متحد الأسباب في
الصغير والكبير من ألوان كفاحه، وكان في كل خطوة من خطواته
معتمداً على الله تعالى.

وفي صوء ذلك ينبغي أن ننبه فكرة التوكل عند الصوفية
أما ثمرة التوكل . . . فيها الاطمئنان إلى التسامح، وكأن العبد
يقول . يا رب، هأنذا قد بذلت كل ما أستطيع بوسائلي التي املكها،
لم أقصر في ذلك، والنتيجة إنيك وأنت حكيم لرحيم، عليك
توكلت وإنيك أيب، إني واثق في حكمك. مطمئن إلى رحمتك،
راض بقضائك.

ويقول ذو النون في التوكل :

« من توكل وثق ، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه »

وسأله رجل فقال :

« يا أبا الفيض ، ما التوكل ؟

فقال له :

« خلق الأرباب ، وقطع الأسباب » .

فقال له : زدني فيه حالة أخرى ؟

فقال :

« إلقاء النفس في العبودية . وإخراجها من لربوبية »

وإذا صدق التوكل أسلم إلى الرضا .

الرُّضَا:

و الرض هو التسليم بكم من القلبى لكل ما يأتى عن الحكيم
الرحمن . . إله منزلة .

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (١).

ولن تجد بين المسلمين من لا يعترف بأن الرضا مقام سام ، وأنه
المقام الذى يحب أن يكون عليه كل مسلم ، وذلك أن كل مسلم
يعترف بأن الله أحكم حكامين ، وأنه رَحِمُ الراحمين ، ومن كان
كذلك فلا بد من الرضا بقضائه .

وقد يجد الإنسان من يجادل فى مقام الرهد ، أما عى مقام
لرض فلا تجد نظرياً . من يجادل فيه ، يد أن واقع الناس يحتف عن
نظرياتهم ، الواقع السام هو عدم الرضا ، وكل صغيرة وكبيرة إنما هى
محل شكوى ، وقليل جداً من يقول فى كل أحوله ، الحمد لله

وإذا قالها فيما يرضه فيه لا يقول فيما لا يتفق مع هواه

وإن لذى اللون عن مقام الرض الكثير من الصائس ، إنه يقول :

« طَوَّبَى لِمَنِ انْصَفَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ »

قيل : وكيف ينصف ربه ؟

قال :

« يقرُّ له بالافات فى طاعته ، وباجهه فى معصيته ، وإن أخذ به دنوبه

رأى عدله ، وإن غفر له رأى فضله ، وإن لم يتغيب منه حسناته لم يره

(١) سورة المائدة ١١٩

ظالمًا لما معه من الآفات ، وإن قبلها رأى إحسانه لما جاد به من
الكرامات »

ويقول

« لم يحب الله من لم يرُضْ بقدره . ولم يرُجَّ الله من لم يتقَ بقسمه »
وقال :

« مَنْ وثق بالمقادير لم يغتم » .

وعن يوسف بن حسين قال . سمعت ذا النون يقول :

« من قل : بو... لكان ، فقد وَلَّى الأمر غير الله » .

فإذا استمر المتصوف في مقاماته مع « الذكر » سلمه ذلك إلى
معرفة الله بالله .

المعرفة :

وذو النون يُقسَّم المعرفة إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأول :

حظ مشترك بين عامة المسلمين .

القسم الثاني :

معرفة خاصة بالفلاسفة والعلماء .

القسم الثالث :

وهو لعلم بصفات الشرحيد خاص بالأولياء الذين يرون له
يقولونهم .

ولقد سئل ذو النون عن كمال العقل وعن كمال المعرفة فقال .

« إذا كنت فائما بما أمرت، تاركاً لتكلف ما كُفيت، فانتت كامل العقل.
وإذا كنت بالله - عز وجل - متعلقاً ، وغير ناظر إلى سواه من أحوالك
وأعمالك ، فانتت كامل المعرفة » .

أما أعب الأحوال التي استعبد الله سبحانه بها العارف ، فهي
بحسب رأي ذي النون

* رؤية كل شيء منه .

* ورجوعه في كل شيء إليه .

* وسؤاله إياه كل شيء .

والعارف - كما يقول ذو النون - لا يلزم حالة واحدة ، إنما يلزم ربه
في الحالات كلها .

أما عبادة العارفين ، فعنها يقول :

« إن لله عباداً عبدوه بخالص من السرّ فشرّفهم بخالص من شكره ،
فهم الذين تمرّ صحفهم مع الملائكة فرغى ، حتى اذا صارت إليه مملأها
لهم من سرّ ما استروا به .

إن حظ العارفين في الأشياء « هو » .. ومن احب ذلك لا يبالون ما
فاتهم، مما هو دونه، والعارف هي كل يوم أخشع، لأنه كل ساعة أقرب»
وسئل ذو النون : سم عرف العارفين ربهم ؟
فقال :

« إن كان بشيء فبقطع اطمع ، والإشراف منهم على اليأس ، مع
التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها، وبذل المجهود من أنفسهم ،
ثم إنهم وصلوا - بعد - إلى الله بآله » .

ترقال

« ان العارف استغنى بربه.. فمن غنى عنه » وورثه ذكره، وانذره

بعثانه ؛ فاستأنس به »

أما رسالة العارفين فهي

* بشر لا إله إلا الله « في مجاس الذاكرين

* وتفريج كُرب اتوابين.

* والدلالة على الله بلسان التوحيد لجميع العالمين .

ومع كل ذلك فهو بكل قوم - كما يقول ذو النون - عسرة، وعقوبة

لعارف بقطاعه عن ذكر الله.

وبداه وصل الإنسان إلى « لمعرفة » فقد أصبح صوفيًا

* وهنا يمكن أن نتساءل:

- إذا ما وصل إلى لمعرفة هل يندثر ن يتكسر ؟

- يمكن أن يتكسر الصوفي فيصبح من أهل مدب ؟

عن ذلك يقول ذو النون:

« ما رجع من رجع إلا من الطريق ، وهو وصلو إليه ما رجعوا ..

فازهد في الدنيا ثم العجب » .

إن العارف لا يتكسر ؛ لقد قطع المفاهيم التي تربطه بالدنيا، إنه

أصبح رديفًا ، وأصبح فيه حالاً لم سوى الله سبحانه ، إنه أصبح في

سعادته بالله ، أو أصبح - على حد تعبير ابن سينا - مبهجاً بالله ، إنه

وصل إلى الحالة التي يقول فيها الصوفية :

« نحن في سعادته لو علمها الملوك خائفون عليها سيوفهم » .

إنها السعادة التي أثرها إبراهيم بن أدهم رحمه الله على ملائكة الدنيا
كأبيه مؤثره، وإيه السعادة التي أثرها نصيب بن عياض على حياة
العبادة ولشطاره، وأمجد الفقه والعلم، وهي السعادة التي يؤثرها
كل من وصل إليها على ما عداها .

أيتكس ؟ . كلاً وحاش لله أن يتكسراً من وصلوا إليه

إن مقام المعرفة هو مقام الوصلين، وعن هذا المقام يبنى مقام
المحبة

المحبة :

يقول ذو النون :

اموت وما صلت إليك صبا بتي ولا رويت من صرف حد وطاري
مضاي المني كل المني.. أنت لي مني ونف الغنى كل العنى عند إقتاري
وانت نهي سؤالي وغاية رغبتني وموضع شكواي ومكنون أضماري
نحمل قلبي - قبل - ما لا أبته وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
وبين صنوعي منك ما قد بدا . ولم يبدُ يديه لأهل، ولا جار
أثرت الهدى للمهتدين ولم يكن من النور هي أيديهم عُشْرُ معْشَرِ
فَنُلْني بعُقْوَ منك : أخيا بقُربيه وغَنُني بِبُشْرِ منك يطردُ إعراري

ويربط ذو النون المحبة والذكر . فعن سعيد بن عثمان ، قال
سمعت ذا النون يقول :

« ويحسد . من ذكر الله على الحقيقة نسي في حبه كل شيء . ومن نسي في حبه كل شيء حفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضاً في كل شيء »

ويعشر ذو اسرار محبة لله سر لا يحور حمص فيه لئلا يسمعه
اعوام ، وقد تذاكر الثوم المحبة في مجلسه ، فقال
« كَفُّوا عن هذه المسألة حتى لا يسمعها النفوس فتدعيها » ثم انشد .

الخوف أولى بالمسيء إذ ناله والحرز
والحب يجفل بالسقي وبالنفي من الدر

وهذا موقف هو موقف المقدس للمحبة الذي يصل تقديسه لها
إلى سمعها حتى عن الحديث عيب
وكان ذو السور يهتج السماع ، إذ اتصل بحب الله سبحانه ، فقد
حسوا أنه لما دخل بغداد احتسب له الصوفية ومعهم قول مشد
فاندا ينشد :

صعير هول عذبي فكيف به إذا احتكما
وانت جمعت من قلبي هوى قد كسر مسرك
أما قرئي لمكثف إذا ضحك الحلي بكى

فانتشي ذو اسرار ، ومن سدة بشرته سقط على رجليه وطل الدم
يقتصر منه وهو لا يدري
وحب الله على الحقيقة علامات منها ما حدث به محمد بن أحمد
ابن عبد الله بن ميمون قال : سمعت د ثور بن

فإن لمن ظهر حب الله أخذ من بدل لغفر الله ومن علامة المحب
له ألا يكون له حاجة إلى غير الله »

« من علامة المحب له برك كل ما سفل عن الله حتى يكون الشعر
كله به له » (١١)

ويصف ذو النون مدى تحقق المحبين بربهم منقول .
« خوف النار إذا فئس إلى خوف لقطع عن المحبوب ، كقطره الماء
تهدف في أعظم المحيطات » .

السورة :

وعن المحبة ستة أحوال عامة ، فمعها ستة حيل « هو » وهو حيل
من حالات شريعة السامية ، وهذا يسمى الماء بحسه ، الودود .
ويقول على لسان أحد رسله .

« إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَذَرُوهٗ » (١٢)

و صوفية كثيراً ما يلجأون إلى هذا الاسم شريفاً في دعائهم ،
فمن ذلك قول نبيهم

ومن علينا يا وودود مجذبة بنا لنحق الإخوان من سار قبلاً

وعن لوديقول ذو النون :

الحب لله عام ، والود لله خاص : لأن كل المؤمنين يذوقون حبه
ويعالونه ، وليس كل مؤمن يعال وده » .

(١١) حديث سيبي في الودود (٢) منير ص ٢٠

ثم نشأ يقول

من ذاق طعم الوداد	هجر جميع العباد
من ذاق طعم الوداد	خلى لذى الرقاد
من ذاق طعم الوداد	سلى طريق العباد
من ذاق طعم الوداد	أتس بالرب العباد

وعن المحبة يتبى حال الأس بالله .

الأنس :

ويقول ذو لؤن عن ذلك

« الأنس بالله من صفاء القلب مع الله ، والتفرّد بالله الانقطاع من
كل شيء سوى الله »

وفى تاريخ ابن عبد كرم عن أحمد بن قيس بن أبي قطن ، قال
سئل ذو النون - وأنا حاضر عنده -
- متى يجد العبد حلاوة الأس بالله عز وجل ؟
قال :

« إذا قطع العلائق ، ورفض الخلائق ، وكار من امر الحقائق ، وعمل
بالرفائق ، فحينئذ ينجو من البوائق »
وقال :

« إذا أحبّ انقلب الخسوة ، فقد اوصيه حبّ الخلوة إلى الأنس بالله ،
ومن أنس بالله استوحش من غير الله . فله درّ قلوب أنست بجلال
الله ، وارتعدت فرعاً لهيبته »

وعن البرقي قال : سمعت ذا النون يقول
 « الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالخلق غم واقع »
 ولقد وصل ذو النون بالأنس بالله إلى مرة يقول عنها
 « أدنى منازل الأس أن يلقى في النار فلا يغيب عن مأموله » .

الشوق :

أما عن الشوق فيقول ذو النون :
 « اشتوق أعلى الدرجات والمقامات ، إذا بلغه استبطأ الموت شوقاً إلى
 ربه ، وحباً للقائه والنظر إليه » .
 وعن أحمد بن يوسف قال :
 سئل ذو النون عن استحق الاشتياق ، فقال :
 « إذا استحق الاشتياق قُرْبَ من باب الخلق ، وشرب من كأس المذاق ،
 فشتاق واشتاق » .
 وهذه كلمات تلقى بعض الصوء عسى ما سبق أن ذكرناه في باب
 التصوف :

« سأل أبو عبد الله بن سهل ذا النون : قال : متى أتوكل ؟
 قال :

اليقين إذا تم سُمِّي توكُّداً .

قلت : متى يتم حبي لربي ؟

قال :

إذا سُمجت الدنيا في عينيك ، وقذفت أمتك فيها بين يديك .

قلت : فمتى أخاف ربي ؟

قال :

إذا سرَّحتْ بصرَكَ في عظمته ، ومثلَّتْ لنفسك أمثالَ نَقَمته .

قلت : فمتى يتم صومي ؟

قال :

إذا جَوَّعتَ نفسك من البعْضاء ، وأَمَتَ لسانك من الفحشاء .

قلت : فمتى أعرف ربي ؟

قال :

إذا كانَ ما أسحطه عندك امرًا من الصبر .

قلت : فمتى أشْواق إلى ربي ؟

قال :

إذا جعلتَ الآخرة لك قراراً ، ولم تُسمِّ الدنيا لك مسكناً وداراً .

قلت : فمتى أشْتل في بغض الدنيا ؟

قال :

إذا جعلتَ الدنيا طريقاً محافة لا تلبثُ إلى ما قطعتَ منها ، وجعلتَ

الآخرة ساحة مأمونة لا تَأْمَنُ إلا بالنزول فيها .

قلت : فمتى أحب لقاء ربي ؟

قال :

إذا كنتَ تقدم على حبيب ، وتصبر عن امر قريب .

قلت : فمتى أستلذ الموت ؟

قال :

إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك ، وجعلت الآخرة تُصَبَّ عينيك .
قلت : فمتى أتقى شهوات معد عم الأرض ؟

قال :

إذا خاض قلبك الملكوت ، ومُزح في سرائر الجبروت ،
قلت : فمتى تطيب معرفتي ؟
قال :

إذا استوحشت من الدنيا واشتدَّ فرحك بتزول البلاء ،
قلت : فمتى أستقيح لدنيا ؟
قال :

إذا علمت أن ريندها فساد كل معنى ، وأن محاسنها تُفْضي إلى كل
حسرة .

قلت : فمتى أكتفى بأهون الأعذية ؟
قال :

إذا عرفت هلاك الشهوات ، وسرعة انقطاع عذوبة المذات ،
قلت : فمتى القنوع التام ؟
قال :

إذا كان زخرف الدنيا عندك صغيراً ، وكان خوف الآخرة لك ذكراً
قلت : فمتى أمر بالمعروف ؟
قال :

إذا كانت شفقك على غيرك ، وخاضعت العباد لمحبه ربك .

قلت . همتي أوتراسه ولا أوتر عبه سوه ؟
فان

إذا بعصت فيه الحبيب ، وجانبت فيه القريب .
فكس همتي قرح لي دكه ، ورس شكه ؟
فان

إذا سررت ببلائه ، وفرحت بدروول قضيه »

الخلوة :

و حديث عن « بصوف » يكون قاصراً إذا لم يتحدث عن
« الخدمة »

وما من شك في أن الخلوة فترة من الزمن ضرورية للمريد ، إنها
تصرفه أي أنه صرف كلياً ، فتصفو ثروته ، ويسير فيه به كثر
المتوالي ويرى في خلوته وثملاً أنه لديها على حقيقتها «متاع العزوة»
و يفرض من الله في خلوته مسخوذة رخصته سريره

و لقد كتب السهروردي في كتابه « عوارف المعارف » فصلاً
جميلة عن الخلوة و شروطها و أذكارها ، و كتب غيره عنها .
و الناس - عدة - بسحوم حسنة كل عام ، و إن اسحمتهم
و روحى - و لو تسوعد و حدا - اوحب لهم زافصر ثرا المحنمهم ،
و أهدى إلى الرشيد

و يفرض دو اسون عن الخدمة

« لم أر شيئاً تبعث لطلب الإخلاص من الوحدة ، لأنه إذا خلا لم يرَ غير الله ، فإذا لم يرَ غيره لم يحركه إلا حكم الله ، ومن حب الحياة فقد تعلّق بعمود الإخلاص ، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق ، ومن ترزّئ عمله فحسنااته سيئات » .

ولكن إذا اسرّ حباً تمكّن برّ لإخلاص من نفسه قال .

« ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله » .

سر المكوت :

في هذه الكلمة بين دو النون سر المكوت ، وهي كلمة من السادسة بحيث رأينا أن نحتّم بها فصل الصوف ، حتى نكون حائمه لهذا الفصل . .

يقول أبو جعفر محمد بن عبد الملث س هاشم

فت لذي النون :

- كم الأبواب إلى القطعة ؟

قال .

« أربعة أبواب ، أولها الخوف ، ثم الرجاء ، ثم المحبة ، ثم الشوق

ولها أربعة مفاتيح :

فالقرّض مفتاح باب الخوف ، والنافلة مفتاح باب الرجاء ، وحب العبادة مفتاح باب المحبة ، وذكر الله ابدائم بالقلب واللسان مفتاح باب الشوق ، وهي درجة الولاية .

فإذا هممت بالارتقاء في هذه الرحلة ، فنحاول مفتاح باب الخوف .
عندما فنحنه اتصبت إلى باب العطية معبوحا لا علق عليه ، فإذا بخلقه
فما ظلك نطيق ما ترى فيه ، حيثنذ يحور سرفك الأسراف ، ويعسو
ملكك ملت الملون.

و علم - يا اخي - انه ليس بالخوب يُنال الغرض ، ولكن بالفرض
سال الحوقف، ولا بالرجاء تُنال النافلة، ولكن بالساهة يُنال ارجاء. كما
انه ليس بالابواب تُنال المفاتيح ، ولكن بالمفاتيح تُنال الابواب .

و علم انه من يكمل فيه الفرض بعد كمال فيه الخوف ، ومن جاء
بالنافلة فقد جاء بالرجاء. ومن جاء بمحبة العباد فقد وصل إلى الله،
ومن سعل قلبه ولسانه بلذكر ، فذق الله في قلبه نور الاشياء إليه،
وهو سرُ الملكوت فاعلمه واحفظه حتى يكون الله - عز وجل - هو الذي
يماوله من يشاء من عباد ٢.

صاحب الكرامات

قد كتبنا عن الكرامات كثيرا في بعض كتبنا، فلا نعيد ما سبق أن
كتبنا، ويكتفينا به أن نقول

إن اقتران تكريم ذكر الكثير من الكرامات، وكثير من المعجزات
فكل مسلم - دون - يؤمن به، إن الإيمان به حرء من الإيمان
الإسلامي

وبهذا ينحصر اختلاف عند المسلمين في صحة الرواية وهي دقة
القول، فمن عتد صحة الرواية ودقة العمل سلم بالكرامة، ومن شك
في نصحه أنكر، وكلاهما يؤمن مع القرائ بأن الله قد أجرى كثير
من معجزات على أيدي الأنبياء، والكثير من الكرامات على أيدي
المصالحين

وفد روت عن ذي النون كرامات كثيرة، وروى الشيخ الأكر
عصمها، وعما رواه الشيخ الأكبر ما يذكره صاحب «الكواكب
السرية» بقوله:

«ومن مقاماته انفتحة، وأحويه المدهشة الخارقة، أن روحه
الشريفة كانت تدبر أجسام متعددة، فقد كان العارف ابن
عربي: الروح الواحد يدبر جسما متعددة، إذا كان له لاقتدار على
ذلك، ويكون ذلك في الدنيا لوسى بحرق العدة، وفي الآخرة نشأة
للإنسان تعطى ذلك.

قال: وكان ذو النون مصري، فقصيب لباد، فمن به هذه القوة،
كما يدبر الروح الواحد يدبر أعضاء البدن، من يد ورجل وسمع
وبصر، وكل واحد النفس بأفعال الحوارح على ما وقع منها، فكذلك

هذه الاحسام التي تدبرها روح واحدة، أى شىء وقع منها يسأل عنه
ذات الروح الواحد، وإن كان عين ما يقع من هذا الجسم عين ما يقع
مع الآخر... اهـ.

وروى ابن ماكويه فى كتاب «أحبار العارفين» عن نبي لعبس
قال:

كنت ماراً بتحصن، فرأيت حلقة، فإذا رجل تعلق بآخر، وله م
يسيل على ثيابه، فوقف عندهم ذوا سون وقال: مالك؟..

قال: هذا كسر صرسي، واحد صرسيه ووضعه فى مكانه وقرأ
عليه: فإذا بالصرس كما كان، فلم تعرف السس عنه تعلقت
به، وقلت:

«أرى معك اسم الله الأعظم» فقال: «تسبح على» فقلت
«لا أفركك أو تعلمنيه» فأقبل على وقال:

«يا هذا، إذا رقق قلبك فادع بما شئت، فذاك اسم الله الأعظم»

وهن أبى عبد الله من الجلاء، قال:

«كنت مع دى سون تمكة، فجمعنا أياماً، فقام يرمي ما ذوا سون قبل
لضهر، فصعد الخيل بالظهرة، وبن معه أحسن الماء، فرأيت قشور
الموز فى الوادى، فأخذت قطعتين أو ثلاثاً، فقلت: إذا ساعد الشيخ
بظهرة أكل هذا، فلم يصعدنا أحسن وتساعدنا عن الناس قال: أرم
قشور الموز، فرمى، فمضى وخرج من وصوته، ورجعنا إلى المسجد
وصدينا وجدنا، وإذا شاب يعجى وسعه طبق، فقال له الشيخ
أتركه. ثم قال لى كلة، فبى وحدى؟ فقال: انت طيبته، وأنا لم
أطلبه، فأكلت وحدى وأنا خجل»

السائح

ذكر الله تعالى من أوصاف المؤمنين أنهم «السائحون» . فمن هم السائحون ؟

أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة ، أنهم طسة علم ؛ لأنهم يسبحون في الأرض لطلبه .

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ائذن لي في السياحة ؟

فقال النبي ﷺ :

« سياحة أمتي الجهد في سبيل الله » .

إن كلمة «السياحة» كلمة شريفة ، وصف الله سبحانه وتعالى بها المؤمنين ، وهي تدل على معنيين :

أحدهما: السفر من أجل طلب العلم

وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أشد بالعلم والعلماء في كتابه العزيز ، ورسول الله ﷺ يحدث عن العلم والعلماء ، ويبرر أن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أحده أخذ بحظ وافر

ولقد سافر علماء الإسلام من أجل طلب العلم أسفاراً ، هي من أكثرية بحيث لا يستطيع عد أن يعدها .

و أما المعنى الثاني «للسياحة» ، فإنه اسفر تعدداً واعتدراً ، وعطية واستحماماً روحياً ، وتفرغاً لله سبحانه أسبوعاً أو أسبوعين ، به

سفر روحى فى مقابلة السفر بالاستجماء الجسمانى
والدس إذا كان أكثرهم يسافرون للاستحمام الجسمانى فبعض
المؤمنين يسافرون استجماء روحيا إلى الخج ، أو إلى ريارة ولى من
أولياء الله ، أو إلى أحبة مع الله فمرة من لرمس نصول أو تنصير ،
بحسب الشرايع المتاح والمطوب وساسة
ومما ذكره صاحب كتاب «محاسن التأويل» عند شرح هذه
الكلمة الشريفة :

«يقول أبو رزق عن أبي مسلم بن الحجاج السمرقاني في لارص ،
وهو مأخوذ من (الشيخ) سبج الله الحارثي ، وأوردته من حرج
مجاهداً مهاجراً .

وتقريره أنه تعالى حث المؤمنين في الآية الأولى على الجهاد ، ثم
ذكر هذه الآية في بيان صفات المجاهدين ، فيسعى أن يكونوا
مجاهدين بجميع هذه الصفات
وروى مثله ابن أبي حاتم ، عن عبد الرحمن ، أنه قال هم
المجاهدون

وعن عكرمة أنهم : المنتقلون لطلب العلم
فإن ابن كثير

جاء بما يدل على أن سياحة الجهاد ، فقد روى أبو ذر عن
حديث أبي أمامة أن رجلاً قال يا رسول الله ، الله لى في السباحة ؟
فقال لى في السباحة .

« سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله »

أقول : لو أخذ هذا الحديث مسيراً بلاية لانسى مع كل ما روى
عن أسلف فيها.

لأن الجهاد في سبيل الله ، كما تُصَلَّق على قتال المشركين بصق
على كل ما فيه محادثة لنفس في عبادته تعالى ، ومنه لهجرة
والصوم ، والسفر بنفسي في الدين أو للاعتبار ، بل ذلك هو الجهاد
الأكبر

هذا على إرادة التوفيق بين المأثورات

أم لو أريد بالنقط أصل حقيقته المعنوية ، أعني لصرب في
أرض خصه ، أدى عبر عنه عكرمة بالمتقلبن لطلب العلم ، لكن
بمفرده كافٍ في المعنى مشيراً إلى وصف عظيم ، وهذا ما حدا بأبي
مسلم أن يقتصر عليه ، وهو الحق في نأوين الآية « إهد » .

ولقد كن ذو اللون المصري من أكثر الناس سياحة ، وكان في
سياحاته كثير الملاحظات ما يراه من مشاهد لعمدة والاعتبار ، وكان
يقتصر بعض ما جرى به في سياحاته من أمور تنبذ أساس في صلتهم
بربهم ، وتغييرهم في هديت أخلاقهم وريادة الشفافية في نموسهم

أم هذه السياحات . إذ نظرنا إليه هو - فيها كست من هوى نفسه
لقد حقه انه طلعة محال للعلم ، عاملاً على كشف المجهول ،
مرتداً بكل محالات المعرفة ، ومن هذه المحالات محال المعرفة
لأنه كان واستقاع حتى لم يرم ، انه محال معرفة للعظة والاعتبار
والتفكير ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١).

ويقول سبحانه .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢)

ويقول أيضاً

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (٣)

ويقول تعالى

﴿سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤)

من أجل كل ذلك سح دوائون ساح طاماً للعلم، وساح منعبداً، وساح مفكراً.

وتذكر الآن بعض سياحاته

(٢) سورة النحل : ٦٩

(١) سورة النحل : ١٩٠ - ١٩١ .

(٤) سورة فصلت : ٥٣

(٣) سورة النحل : ٢١

يا أمل المؤمنين :

عن محمد بن أحمد الشمشاطي قال : سمعت ذا النون المصري يقول

بينما ن سائر على شاطئ بيل مصر . إذ أبا بجارية تدعو وهي تقول في دعائها :

« يا من هو عند ألسن الناطقين ، يا من هو عند قلوب الذاكرين ، يا من هو عند شكر الحامدين ، يا من هو على نفوس الحيارين والمتكبرين . قد علمت ما كان مني يا أمل المؤمنين »

قال : ثم صرخت صرخة وخرت مغشياً عليها .

إذا اعتلت فلا تجعل علك إلى مخلوق مثلك :

قال : وسمعت ذا النون يقول :

دخلت إلى شواطئ بيل مصر ، فحاءني الليل ، فعمت بين دروعها ، فإذا أبا بمرأه سوداء قد أقبلت إلى سلة فمركتها ، ثم امتنعت عليها فمركتها وكتت وهي تقول .

« يا من برأه حباً يابساً في أرضه ، ولم يك شيئاً ، أنت الذي صيرته حشيشاً ، ثم أنبتته عوداً قائماً بتكويك ، وجعلت فيه حباً متراكباً ، ودورته فكوته وأنت على كل شيء قدير » .

وقالت « عجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع ؟ عجبت لمن هذا صنعه كيف يشتكى ؟ » .

فدنوت منها فقلت : من يشكو أمل المؤمنين ؟

فقلت بـ

« أنت يا ذا النون ، إذا اعتلت فلا جعراً عنت إلى محلوو مثل
واطلب دواءك ممن ابتلاك ، عليك السلام . لا حاجة لي في مناظره
البطلين »

ثم أنشأت تقول :

وكيف تدم أعينٌ وهي قريرةٌ ولم تدرفي أي محلين تنزل »

إن المحب هو الصبور :

وعن أبي حنبل سعيد بن الحكم قال سمعت أبا الفيض ذا سر
أبى إبراهيم يقول

يبدأ أَسِير ذَات سَةِ طَلَبٍ عِي حَالِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، دَسَمْتُ
صَوْتًا حَزِينًا وَنِكَاءَ جَهْرًا ، وَهُوَ يَقُولُ

« يَا وَجْهَتَاهُ بَعْدَ أَسْبَا ، يَا غُرْبَدَهُ عَنِ وَطَنِنَا ، يَا فَقْرَاهُ بَعْدَ
غَنَانِنَا ، يَا دُلَّاهُ بَعْدَ عَزَّانَا » . .

فبعت الصوت حتى فرست منه ، قدم أزل انكى لبكته حتى إذا
أصبحنا نظرت إليه فإذا راحل ناحل كالشَّارِ لِحَرْقٍ ، عَقْتُ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، لَمْ يَقُولْ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ ؟

فقال :

« دَعْنِي فَقَدْ كَانَ لِي قَبْلَ فَقْدِهِ » .

ثم أنشأ يقول

قد كان لي قلبٌ اعترُ به بينَ الوري قُرصه احبُّ فاحترفا
قتلت له :

لم تشكّي ألم البلاء وأنت تفتحل المحسة
إن المحب هو الصبور على البلاء لمن أحية
حبُّ الإله هو السرور مع الشفاء لكل كربة

من يَرْجُ النجاة يجتهد :

وعن سِراييل قول : سمعت ذا النون يقول :

سمعت بعض السعبدین ساحل بحر السماء يقول

« إن لله عباداً عرفوه بيقين من معرفته ، فشمروا ، قصدوا إليه ،
احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب . صاحبوا الدنيا
بالأشجار ، وبنعموا فيها بطول الأحران ، فما نظروا إليها بعين راعب ،
ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب ، خافوا البيات فسرعوا ، ورجوا
النجاة فأرمعوا ، بذكره لهجت ألسنتهم في رضا سيدهم ، نصبوا
الآخرة نصب أعينهم ، وأنصفوا إليها بأذان قلوبهم ، فلو رأيتم رأيت
قوما ذبلاً شفاهم ، خمصاً بطونهم ، حزينة قلوبهم ، ناحلة أجسامهم ،
باكية أعينهم ، لم يصحبوا العس واستويف وقنعوا من الدنيا بخوت
طفيف . لبسوا من لباس أطمارا باية ، وسكنوا من البلاد فقاراً ضاربة ،
هربوا من الأوطان ، واستبدلوا الوحده من الإخوان ، فلو رأيتم لرأيت
قوماً ذبحهم الليل يسكاكين السهر . وفصل الأعضاء منهم بخناحر

استعب ، خُصَّصَ لطول السُّرى ، شُعْتُ لِفَقْدِ الْخَرى . قد وصلوا الْكَلالَ
بِالْكَلالِ ، وتاهبوا للنقْلة والارتحال .

بين جبال الشام:

يا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعاً مجيباً

وعن محمد بن أحمد شمشطى ، قال سمعت ذا النور يقول
بينما أنا سائر بين حبل الشام ، إذا أن شيخ على قطعة من
الأرض ، قد تساقط حاحاه على عبيه كبراً ، فتقدمت إليه ، فسلمت
عنه مرداً على السلام ، ثم أشأ وهو يقول بصوت عليل

« يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً ، ويا من قصد إليه الزاهدون
فوجدوه حبيباً ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعاً
مجيباً » .

ثم أشأ يقول

وَلَهُ خَصَائِصُ مُصْطَفِينَ لِحُبِّهِ اخْتَارَهُمْ فِي سَلَفِ الْأَزْمَانِ
اخْتَارَهُمْ مِنْ قَبْلِ قِطْرَةِ خَلْقِهِ فَهُمْ وَدائعَ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ

ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت .

في بلاد العرب :

لا تترك الزد ليوم معادك

وعن سعيد بن عثمان ، قال سمعت ذا النور يقول

بَيْمًا أَتَى سَائِرَ فِى بِلَادِ الْعَرَبِ ، إِذَا أَنْ بَرَجِلَ عَنِ عَرَبِشٍ مِنْ
السُّوْطِ ، وَعَبْدُهُ عَيْنَ مَاءِ تَجْرِى ، فَأَقْبَمَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلِيَّةُ أُرِيدَ أَنْ
أَسْمَعَ كَلَامَهُ ، فَأَشْرَفَ عَلَى بُوْحَتِهِ ، فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ :

« شَهِدَ قَلْبِي لَكَ مَا لِنَوَازِلِ ، وَكَفَى لِي بِشَهِيدٍ عَلَى بَدَلِكَ وَكُلِّ أَمُورِهِمْ
إِيَّاكَ ، فَحَسِبَ مِنْ اغْتِرَابِكَ أَنْ يَأْلَفَ قَلْبُهُ غَيْرَكَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، لَقَدْ خَابَ
لَدَيْكَ الْمُقْصِرُونَ ، سَبَدَى ، مَا أَهْلَى ذِكْرِكَ ، أَلَيْسَ قَصْدُكَ مَوْءُؤُوكَ فَنَالُوا
مَا أَمَلُوا ، وَجَدْتَ لَهُمْ مِنْكَ بِالزِّيَادَةِ عَلَى مَا طَلَبُوا ؟ »

فَقَلَبَ لَهُ : يَا حَسْبَى ، إِنْ مَقَمَ عَلَيْكَ مِنْذُ يَوْمِ وَلِيَّةِ أُرِيدَ أَنْ أَسْمَعَ
مِنْ كَلَامِكَ
فَقَالَ لِي :

« قَدْ رَأَيْتُكَ يَا بَطَّالَ حَيٍّ قَبْلَتْ ، وَلَكِنْ مَا ذَهَبَ رَوْعُكَ مِنْ قَلْبِي إِلَى
الْآنَ . »

فَقَلَبَتْ لَهُ : وَلَمْ دَعْتُ . وَمَا لَدَى أَفْرَعْتُ مَعِي ؟
فَقَالَ :

« بَطَّالُكَ فِى يَوْمِ عَمَلِكَ وَفَرَاغُهُ فِى يَوْمِ سَعْيِكَ ، وَتَرْكُكَ الزَّادَ لِيَوْمِ
مَعَادِكَ ، وَمَقَامُكَ عَلَى الْمُظَنُّونَ . »

فَقَلَبَتْ : إِنْ نِلَّ تَعَالَى كَرِيمٌ ، مَا ظَنُّهُ بِأَحَدٍ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ،
فَقَالَ :

« إِنَّهُ لَكَذَلِكَ إِذَا وَافَقَهُ الْعَمَلُ الصَّالِحَ وَانْتَوَفَّقَ »

فِى بِلْدَةِ شَاهَرَتِ :

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَثْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ ذَا النُّونَ يَقُولُ :

وَصَفَّ لِي رَجُلٌ شَاهِرٌ ، فَقَصَدْتُهُ ، فَأَقَمْتُ عَلَى بَابِهِ أَرْبَعِينَ
يَوْمًا ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَى هَرَبَ مَيِّ ، فَقَدْتُ
هُ : سَأَلْتُكَ بِمَعْبُودِكَ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَى وَقْفَةٍ ، فَوَقَفْتُ ، فَقَدْتُ : سَأَلْتُكَ
بِاللَّهِ هَمَّ عَرَفْتَ اللَّهَ ، وَرَأَى شَيْءٌ نَعَرَفَ إِسْكَ اللَّهَ حَتَّى عَرَفْتَهُ ؟
فَقَالَ لِي :

« نَعَمْ ، رَأَيْتَ لِي حَبِيبًا إِذَا قَرَبْتُ مِنْهُ قَرَّبَنِي وَادْتَنَانِي ، وَإِذَا بَعُدْتُ
نَادَانِي ، وَإِذَا قَمَعْتُ بِالْقَتْرِ رَغَّبَنِي وَمَنَّانِي ، وَإِذَا عَمَلْتُ بِالطَّاعَةِ زَادَنِي
وَاعْطَانِي ، وَإِذَا عَمَلْتُ بِالْمَعْصِيَةِ صَبَرَ عَلَيَّ وَثَنَانِي ، فَهَلْ رَأَيْتَ حَبِيبًا
مِثْلَ هَذَا ؟ » اتَّصَرَفَ عَنِّي وَلَا تَشْغَلْنِي ! ثُمَّ رَأَى

فِي نَبِيِّهِ إِسْرَائِيلَ :

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَثْمَانَ ، قَالَ :

« كُنْتُ مَعَ دِي السُّوْنِ فِي نَبِيِّهِ إِسْرَائِيلَ ، فِيمَا بَحْنُ نَسِيرٍ إِذَا
بِشَخْصٍ قَدْ قَبِلَ ، فَقُلْتُ : يَا أَسَدَ ، شَخْصٌ .
فَقَالَ لِي :

نَظَرُ ، فَرَأَى لَا يَضَعُ قَدَمَهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ إِلَّا صَدِيقٌ . فَضَرْتُ فِئْدَ
امْرَأَةٍ ، فَقُلْتُ : إِنِّي أَمْرَأَةٌ ، فَقَالَ : صَدِيقَةٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَانْتَدَرُ
بِهَا ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا ، فَزِدْتُ إِسْلَامًا ثُمَّ قُلْتُ
مَا لِلرَّجُلِ وَمَحَاطَبِهِ النَّسَاءُ ١٧ .

فَقَالَ لَهَا : إِنِّي أَخَوُكَ ذُو السُّوْنِ ، وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ التُّهْمِ .
فَقَالَتْ :

مَرْحَبًا ، حَيَّاكَ اللَّهُ بِالسَّلَامِ .

فقل لها : ما حملك على الدخول إلى هذا الموضع ؟

فجالت : آية في كتاب الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُجَارُوا فِيهَا ﴾ (١١) .

فكلما دخلت إلى موضع يُعصى فيه لم تهتني القرار فيه بقلب قد
أبهلته شدة محبته ، وهام بالشوق إلى رؤيته .

فقال لها : صفى لى .

فجالت : يا سبحان الله ، أنت عارف بكلم بلسان المعرفة .

تسألنى ؟

فقال : يحق للسائل الجواب .

فجالت : نعم ، المحبة عندي لها أول وآخر ، فأولها : بهج القلب
بذكر المحبوب ، والحرر ابدانم ، والتشوق اللازم ، فإذا صاروا إلى
اعلاها سفلهم وجدر الحلوب عن كثير من أعمال الطاعات .

ثم أحدث في أرفير واشهيق ، وأنشأت تقول :

أحبك حُبِّين : حُبُّ أهوى	وحُبُّا لأنك أهلٌ لنا
فأما الذى هو حُبُّ أهوى	فذكرٌ شُغيتُ به عمَّن سواها
وأمَّ الذى أنتَ أهلٌ به	أنسُفك لى الحُجْبِ حتَّى أراكا
فما الحمدُ قى ذا ولا ذاك لى	ولكنْ لك الحمدُ فى ذا وذاك

ثم شهقت فإذا هي قد فارقت الدنيا . . .

على شاطئ نيل مصر:

وعن محمد بن أحمد الشمشاطي قال : سمعت ذا النون يقول .
« بينما أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بحارية عليها دباء .
شعث الكلال^(١) ، وإذا قلب منها متعلق بحب الحنار ، وهي منقصة
في نيل مصر ، وهو يصطرب بأموجه ، فخيما هي كذلك إذ نظرت
إلى حوت ينساب بين الوحيتين ، فرست بصرها إلى السماء وبكت
وأنشأت تقول :

« بك تفرد المتفردون في الخلوات ، ولعظيم رجاء ما عندك سبّح
الحيتان في البحور الزاخرات ، ولجلال هيبتك تصدقت الأمواج في
البحور المستفحلات ، ومؤانستك استأنست بك الوحوش في القلوات ،
ولجودك وكرمك قصدت إليك يا صاحب البرّ والمسامحات » ثم
ولّت عني وهي تقول :

يا مؤنس الأسرار في خلواتهم يا خير من حطّت به النزالُ
من نال حبك لا ينال تفجعاً القلب يعلم أن ذاك محالُ
ثم غابت عني فلم أرها ، فصرفت وأنا حزبن القلب ضعيف
الرأى .

في مقبرة البصرة :

وحدث يوسف بن الحسين : قال بعض الصوفية

(١) أي : ثياب نالية

سمعت ذا النور يقول

رأيت سعدون في مقبرة الصرة، في يوم حار، وهو يناحى ربه،
ويقول بصوت عالى:

«احد، احد...» فسلمت عليه، فردّ على لملا.

فقلت: بحق من ناجيته إلا وقت...

فوقف ثم قال لى:

«قل وأوجز...»

قلت: توصينى توصية أحفظها مث، وتدعوا لى بدعوة.
فنشأ يقول:

يا طالب تعلم ههنا وهنا ومعدن العلم بين جنبيكا

إن كنت تبغى الجنان تسكنها فأذرق الدمع فوق خديكا

وقم إذا قام كل مجتهد تدعوه كى ما يقول لييك

ثم مضى وقال

«يا غياث المسعفين أغثنى»

فقلت له: ارفع نفسك، فلعده يلاحظك يعنرك، فصرف يده

من يدي، وعداً^(١) وهو يقول:

نسيت به فلا أبغى سواه مخافه أن أضلّ فلا أراه

فحسبك حشره وضنا وسقنا بطردك من مجالس أوليه

(١) أسرع وحرى

سياحة في طلب المباح :

وحدثت يونس بن الحسين عن ابي جعفر عن شحرف ، قال
سمعت ذا النون يقول :

خرجت في صب الملح ، فإذا أنا بصوت ، فعدت إليه ، فإذا أنا
برجل قد غاص في بحر الوء ، وخرج على ساحل الكمة^(١) . يقول
في شدة .

" انت تعلم ان الاصرر مع الاستغفار لوم ، وترك الاستغفار مع
معرفة بسعة عفوك عجز . يا ابي انت خصت حصائلك بخالص
الإخلاص ، وانت الذي تضر بضائبك عن ثواب الاقتصاص . وانت
الذي سممت قلوب العارفين عن اعتراض الوسوس . وانت الذي آتست
الأنس من اوليائك ، فأعطيتهم رعاية ولاية المتوكلين عليك .
تكلوهم في مضاجعهم ، وتطلع على سرائرهم ، وسرى عندك مكشوف .
و نا لك ملهوف ، وانت بالإحسان معروف " .
ثم سكوت فلم أسمع له صوتاً .

في بيت الله الحرام :

وحدث محمد بن يزيد قال . سمعت ذا النون يقول :

خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام . . فبينما أنا بالطواف إذا
شخص سعيق أستر الكمة . وإذا هو يركي ويقول في بكائه

١١ . مشهور وغيره المور

« كُنْتُ بِلَايَ عَنْ غَيْرِكَ ، وَبَحْتُ بِسَرَى إِلَيْكَ وَاشْتَغَلْتُ بِكَ عَنْ
سِوَاكَ...عَجِبْتُ لِمَنْ عَرَفَكَ كَيْفَ يَسْلُو عَنْكَ ، وَلِمَنْ ذَاقَ حَبْلَكَ كَيْفَ يَصْبِرُ
عَلَيْكَ ؟ » .

ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

ذَوَّقْنِي صَيْبَ الْوَصَالِ قَدْ سَمِعْتُ شَوْقًا إِلَيْكَ مُحَاسِرَ الْحَسَرَاتِ

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ :

« أَتَهْلِكُ فَمَا ارْعَوْيْتِ ، وَسِرْ عَلَيْكَ فَمَا اسْتَحْيَيْتِ ، وَسَلْبَكَ حَلَاوَةَ
الْمُنَاحَاةِ فَمَا بِالْيَتِ ؟ » .

قَالَ : هَلُمَّ أَتَمْنُوكَ أَنْ أَتَيْتُ ، كَعَبِيَّةٍ مَسْتَحْمِيَةٍ ، فَلَمَّا أَحْسَنَ تَحَلُّلَ
حِمَارٍ كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ « يَا ذَا الْفَنُونِ ، غَضُّ بَصْرِكَ مِنْ مَوَاقِعِ الْبَطْرِ :
فَإِنِّي حَرَامٌ » . فَعَلِمْتُ أَنَّهَا امْرَأَةٌ .
ثُمَّ أَنْشَأَتْ يَقُولُ :

لَمْ أَذُقْ طَعْمَ وَصْلِكَ حَتَّى زَالَ عَنِّي مَحْنِي لِلْأَتَامِ

ثُمَّ قَالَتْ :

« أَوْجَعْنِي ، إِمَّا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يُبْلَغُ إِلَيْهِ إِلَّا بِرُكٍّ مِنْ دُونِهِ »

فِي بَعْضِ سِيَاحَاتِهِ :

وَقَالَ ذُو الْوَلَدِ : رَأَيْتُ فِي سِيَاحَتِي شَيْخًا ، فَقُلْتُ :

« كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ ؟ »

قَالَ :

« دَعْ طَرِيقَ الْخِلَافِ وَالْإِخْتِلَافِ » .

قلت : أليس اختلاف العلماء رحمة ؟
قال :

« إلا في تجريد التوحيد » .
قلت : ما تجريده ؟
قال :

« فقدان رؤية ما سواه بوجدانه » .
قلت : أو ليس من عرف الله طال همه ؟
قال :

« بل من عرفه زال همه » .
قلت : هل يكون العارف مسروراً ؟
قال :

« وهل يكون محزوناً ؟ »
قلت : أليس من عرف الله صار مستوحشاً ؟
قال :

« معاذ الله ، بل يكون مهاجراً متجديداً » .
قلت : وهل يأسف العارف على شيء غير الله ؟
قال :

« وهل يعرف الله قياساً عليه » .
قلت : وهل يشاق إلى ربه ؟
قال :

« وهل يغيب عنه طريقة عين حتى يشافقه ؟ » .

قلت : ما اسم الله الأعظم ؟

قال :

« ان تقول « الله » وانت تهانه » .

قلت : كثيراً ما أقوله ولا ندحكنى هيبه

قال :

« لأنك تقول الله « من حيث أنت ، لا من حيث هو » .

قلت : عظمى

قال :

« حسبك من الموعظة علمك بالله يراك » .

قلت : فما تمرئى ؟

قال :

« لا طلاءه عليك فى كل أحوالك ، لا تحسنة »

وعن إسرافيل قال : سمعت داانننن يقول :

نطرب إلى رجل فى بيت المقدس ، قد استعرقه الولة ، فملت

له : ما أبهى آثار منك ما أرى ؟

قال :

« ذهب الزهاد والعبد بصفو الإخلاص . وبقيت فى كدر الانتقاص .

فهل من دليل مرشد و حكيم موقظ ؟ »

في نواحي الشام :

ومن وقائعها في سياحاته ما حكى ، قال

« يسمي أبو اسير في نواحي الشام يد وفتح على روضة حصراء ،
ورد شاب يصلي تحت شجرة ، سلمت ، فوحر في صلاته ولم
يرده ، ثم كتب بإصبعه في الأرض

منع اللسان من الكلام لأنه سبب الفساد وجالب الآفات
فإذا نطقت فكأن لربك ذكراً وإذا سكنت فقد موتك آت

قال فبكيت وكتبت بإصبعي في الأرض .

وما من كاتب إلا سيئلي ويبقى الذر ما كتبت فداء
فلا تكتب بكفك غير شيء يسر لك في القمامة أن تراه

فصاح الشاب صمات ، فعمت لأجهره وأدمه ، وإذا بقائل حراً
عه فإن الله وعده ألا يتولاه إلا ملائكته ، فاستمتم صم أراه »

في بعض سياحاته :

وقال « يسمي أبو اسير في بعض سياحاته يد - بصوت حزين
كسب مروح يقب ، أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول :
« سبحان مفعلي الدهور ، سبحان مخرب الدور ، سبحان باعث من في
القبور ، سبحان مفعيت القلوب » . .

فاستمع الصوت فإذا بإنسان يقول

« سِيحَانٌ مَنْ لَا يَسْنَعُ الْحَقُّ إِلَّا سَتْرُهُ ، سِيحَانَتْ مَا تَلْفَكَ بِحُرِّ

حَالِقٍ ، وَوَفَاكَ بَعْدَكَ سِحَانِكَ مَا حَلَمْتَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ »

ثُمَّ قَالَ :

« سِنْدِي ، بِحُلْمِكَ نَطَقْتُ ، وَبِفَصْلِكَ كَلِمَتٌ ، فَبِئْسَ لِي مِنْ مَصِي قَبْلِي

وَمَنْ يَكُونُ بَعْدِي ، بِالصَّالِحِينَ الْحَقُّنِي ، وَلَا عَمَالَهُمْ وَتَفَنَّنِي » .

ثُمَّ قَالَ :

« إِنَّ الرُّهَادَ وَالْعُبَادَ تَزِلُ بِهِمُ الزَّمَانُ قَابِلَاهُمْ ، وَحَلَّ بِهِمُ الْبِلَاءُ

فَأَفْنَاهُمْ ، فَهَلْ أُنْظَرُ إِلَّا مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ ؟ » فَصَرَفَتْ وَتَرَكْتَهُ دَكِيًّا .

عَلَى جَبَلٍ مُقْطَعٍ :

وَقَالَ : « وَصَفَّيْ رَحْلِي بِحُسْنِ الْمُقْطَعِ مَقْصِدَتَهُ ، فَمَكَّنْتُ عَمْدَهُ

أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ سَأَلْتُهُ ، فَقَمِنْتُ : قِيمَ النِّجَاجَةِ ؟

فَرَدَّ :

فِي الْغَوَى وَالْمَرْقَبَةِ .

قُلْتُ : زِدْنِي

قَالَ :

فَرَمِ الْخَطِّ وَلَا تَنْسَ بِهِمْ .

قُلْتُ : زِدْنِي .

قَالَ :

إِنَّ لِي عِبَادًا طَاعُوهُ ، فَسَقَاهُمْ كَاسًا مِنْ مَحَبَّتِهِ ، فَهُمْ قِي شَرِبَهُمْ

عَطَشٌ ، وَفِي عَطَشِهِمْ أَرْوِيَاءُ ثُمَّ تَرَكْنِي »

في التيه :

وقد صحت رجاء في التيه ، فكان إد ذكر الله يضر ، فورد
على أمر عظيم ، فسألته ، فأنشد :

ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا نَسِينَا فَنَذُكِّرُ وَلَكِنْ نَسِمْ الْقُرْبَ يَبْدُو فَيُظْهِرُ
ثم قال أيضاً :

أنت في غفلة وقلبك ساهي نكد الغمر واذنوب كما هي
جمّة أخصيت عليك جميعاً في كتاب ، و أنت عن ذاك لاه
لعم يُبادر بتوبة منك حتى صرت شيخاً فخبأت اليوم واد
فاجتهد في فكك نفسك واحتر يوم تبدو السمات فوق الحياه
قال ذو النون :

« فما طرّق سمعي مثل حكمة ذلك الزنحي ، فعصمت أن يله تعالى
عباداً تعلو قلوبهم بالاذكر كما تعلو الأطيار في الأوكار ، لو
فتست منهم القلوب لما وجدت فيها غير حب المحبوب »

في جبل نيسان :

وقال : « اجتمعت في جبل نيسان امرأة متعددة كالشئ سالى
كأنها تحبر عن أهل انبار ، فسألتها أين طمت ؟
قالت :

مالي وحن إلا الذر ، أو يعفو العزيز الغفار .

فنت : هل من وصية ؟

قالت :

شَمِّرْ عَنْ ساق الجد ، ودَعْ ما يَنعَلِقُ به البَطَّانور من الرجاء الكاذب
الذى لا نحقيق لهم فيه ، ولا يدرون كيف العواقب ، فوالله لا يردُّ غداً
المنازل إلا المضمَّرون^(١) .

فى جبال بيت المقدس :

وقار بنى أنا أسير فى جبال بيت المقدس ، إذ سمعت قديلاً
يقول

« ذهبت الآلام عن ابدان الخدام ، ولهيت بالطاعة عن الشراب
والطعام ، وأنفت أبدانهم طوعاً اقيام بين يدي الملك العلام »
فسمعت الصرير فإذا شرب قد علاه اصمير^ر ، فلب رائى نورى
مى - شجر

فقلت : ليس الخدم من أحلاقهم ، فأوصى .

فخرٌ ساجداً وجعل يقول

« هذا مقام مَنْ لا ذك ، واستجار بمعرفتك . وألف محبتك . فيا إله
القلوب وما تحويه من جلال عظمتك . احجبني عن الباطعين بي
عنك » . ثم عاب فلم أره .

(١) الذين استعدوا من قبل

في جبل لبنان :

وقد رأيت في جبل لبنان رجلاً أعرج يحدّ حصى . فسمعت
هرقاً ، فمارأى راعياً حياً حتى صلى العصر ، ثم استند إلى حجر
ولم يكلمني .

فقلت ادعني

قال :

أتسك الله بقريه .

فقلت : زدني .

قال :

من أتسه الله بقريه أعطاه أربعاً عزّاً من غير عشيرة ، وعلماً من
غير طلب ، وعشياً بغير مال ، وأنساً بغير جمعة .

ثم شهق فلم يبق إلا بعد ثلاث ساعات .

فقل :

انصرف عني بسلام .

قلت : أوصني .

قال :

أحبب مولاك ولا تُردّ بحبه بدلاً .

على شاطئ غدير :

وقد اسكنني كزيبه حدث بكر من أحمد حسي ، فاسمعت
يوسف بن الحسين الرازي يقول

« كنت مع ذي النون امصرى ، على شاطئ غدير . عطرنا فإذا
 بضفدع خرج من الغدير فركه عقرب ، وحمل الضفدع يسبح حتى
 عبر ، فقال ذو النون . إن لهذا العقرب لشأناً فامض بنا تفقدوا على أثره .
 فإذا رحل بائم سكران ، وإذا حية قد حاءت ، فصعدت إلى صدره
 وهي بطلب نذه ، فاستحكمت العنكب من الحية فصربت بها ، فانقلب
 فانفسحت ، ورجعت العقرب وثرت إلى الغدير وجاءت الضفدع
 بها إلى الجانب الثانى ، فحرك ذو النون الرجل البائم فصيح عييه
 فقال : يا فنى . انظر كم نجك الله ؟ هذه العقرب حاءت فقتلت هذه
 الحية التى أرادتك .

ثم أسأ ذو النون يقول :

يا غافلاً والجليل بحفظه من كل سوء يدب في الظلم
 كيف تنام العيون عن منك يأتينك منه فوائد النعم

فرفع الشاب رأسه ونهض وقال إلهى . هذا فعث بمن عصاك ،
 فكيف عملك بمن يطيعك ؟ . ثم سآخ .

حديث مع بعض متعبدى العرب :

روى يوسف بن الحسين قال : قال ذو النون

« دخلت على بعض متعبدى العرب فقلت له كيف أصبحت ؟

قال :

أصبحت في بحايح نعمة أجول . ويلسان فضله وإحسانه أقول :
نعماءه على باطنة وظاهرة . وعصون رياض مواهبه على مشرقة
زاهرة .»

سبحانه ما أمهله بالآثام :
قال : وقال ذو النون :
« دخلت على متعدة ، فقلت لها : كيف أصبحت ؟
فقلت :

أصبحت من الدنيا على فناء ومبادرة في أخذ الجهار . متأهبة بهول
يوم الحوار . له على نعم اعترف بتقصيري عن شكرها ، وابصل عن
ضعفي عن إحصائها وذكرها . فقد غفلت القلوب عنه وهو منشؤها .
وادبرت النفوس عنه وهو يناديها . فسبحانه .. ما أمهله بالآثام .. مع
تواتر الأيادي والإنعام .»

أطع الله إذا خلوت يُجيبك إذا دعوت :

وقال : « رأيت في يدي نبي إسرائيل سوداء قد ستببها الولة من
حب الرحمن شاحصة ببصرها بحر السماء ، فقلت : السلام عليك
يا أحتاء .
قالت :

وعليك لسلام يا ذا النون .
قلت : من أين عرفتني ؟
قالت :

إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، ثم أدارها حول العرش،
 فما تعارف منها اختلف ، وما تناكر منها اختلف ، فعرفتُ روحى روحك
 فى ذلك الجولان،
 قلت : أراك حكيمة ، فعلمينى عما علمك الله .
 قالت :

يا ابا الغبض . ضع على جوارحك ميزان انقسط : حتى يدور كل ما
 كان بغير الله، ويبقى القلب نقياً لا شىء فيه غيره، فحينئذ يعيمك على
 الباب ، ويوثيك ولاية جديدة ، ويأمر الحرار لك بالطاعة .
 قلت : زيدنى .
 قلت .

خذ من نفسك لنفسك ، وأطع الله ذاك خلوت . يجيبك إذا دعوت .
 والسلام »

من استغنى بالله أمن من العدم :

رقص :

« كنت فى جبل الشام فرأيت رجلاً قعداً مطرقاً فسمت .

ما تصعب هذا ؟

قال : انظر وأرعى ،

فب : ما أرى عندك إلا الأحجار فما لدى حصير وترعه ؟

فصر إلى مغضبا ، وقال

انظر خو طر قلبى ، وأرعى وأمر ربى ، فبحق من أطلعك على الا

رحمت عنى .

قلت : كلمني بشيء أنتفع به وأذهب ،

قار :

« من لزم الباب أثبت من الخدم . ومن أكثر ذكر الذنوب أعقبه كثرة
الدم ، ومن استغنى بالله أمن من العدم » . . ثم تركني ومضى .

لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله :

وقال : « رأيت سواحل الشام امرأة ، فقمت : من أين أقبلت ؟
قلت :

من عند قوم نتجأ في جنوبهم عن المضاجع .

قلت : وإلى أين ؟

قلت :

إلى قوم لا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » (١)

في اليمن :

علامة الخوف من الله

وعن ذي النون قال :

« وُصف لي رجل باليمن قد رر على خائفين ، وسما على
محتشدين ، وذكر لي بالحكمة ، ووصف لي بالتواضع والرحمة ،
محرحت حاجته ، فما قضيت نسكي مصيت إليه لأسمع من كلامه ،
وأنتفع بمواعظه أنا وأولادنا كسوا معي يطلبون منه مثل ما أطلب .

(١) الكواكب سريرة مصوى

ومع شرب عييه سيما الصالحين . فحرج يئب ، فجلسا إليه ، وبدأ
 اشباب بالسلام عييه ، وصافحه ، فندى له الشيخ لشر و لترحيب ،
 فسدما عييه جميعا ، ثم بدأ اشباب بالكلام فقال
 - إن الله بمئة وقصده قد جعلك طبيب لسقام الذنوب ، ومعاف
 لأوجاع الذنوب ، ولئى حرج قد تم ، وداء قد ستهمل ، ثم رتب
 ان تلتطف لى بعض مراهمك ، وتعالجنى برفقتك
 فقال له الشيخ :

ما بدا لك ؟

فقد له اشباب یرحمك الله ، ما علامة اخوف من الله تعالى ؟
 فقال :

ان مؤمنه خوفه من كل خوف غير خوفه .

ثم قال : یرحمك الله ، حتى يتيسر لعبده خوفه من الله ؟
 قال :

إذا أنزل نفسه من الدنيا بمزلة السقيم فهو يحتمى من أكل الطعام
 مخافة اسقام . ويصبر على مضض كل دواء مخافة طول انصا .

قال . فما علامة المحب لله ؟

قال

ان درجة احب درجة رفعة .

قال : صفها لى ؟

قال

ان المحبين له شقَّ بهم عن سويهم : فأبصروا بنور القلوب إلى عزِّ
جلال الله : فعبدوه بمبلغ استطاعتهم له ، لا طمعاً في جسده ، ولا خوفاً
من ناره .

قال فشهو المني وصاح صيحة كدت فيها نفسه .

في المغرب :

القرآن حديثه والذكر رفيقه

قال يوسف بن الحسين ، سمعت ذا النور يقول :

« وُصف لي رجل بالمعرب وذكر لي من حكمته وكلامه ما
حملني على لثائه ، فرحلت به واقفت على ربه أربعين يوماً على أن
يخرج من مرله إلى المسجد ويصلي ، فكان يخرج وقت كل صلاة
ويصلي ويرجع كما لو أنه لا يكلم أحداً
قلت له يوماً :

يا هذا ، إني مقيم هنا منذ أربعين صباحاً ، لا أراك تكلمني ؟
فقال لي :

هذا لساني سبع إن أنا اطلقته أكنى .

فقلت له . عطيتي رحمتك منه مؤطرة أحفظها عنك ؟
قال :

وتفعر ؟

قلت : نعم إن شاء الله

قال :

لا يحب الدنيا . وغد الفقر غنى ، والبلاء من الله نعمة . والمنع من الله عطاء ، وابوحده مع الله أسب ، والذل عراً ، والحياة موتاً ، وليس غفلة ، والطاعة حرفة ، والتوكل معاشاً ، والله لكل شدة عذة ثم مكثت بعد ذلك شهراً لا يكلمني ، فقلت : رحيمك الله إني أريد أن أخرج إلى الدنيا ، فإني أريد أن ترينني في هذه عظة ؟
فقال :

أعلم أن أراهد في الدنيا قُوته ما وجد . وممكنه حيث درك . وناسه ما ستره . الخلوه مجبسه . والقران حديثه . والله الجبار العزيز أيبسه . والذكر رفيقه . والصمت جيبه . والخوف سجيته . والشوق مطننه . والاعتبار فكره . والبصر وساده . والحكمة كلامه . والعرف دليله . والعلم خليله . والجوع إدامه . والنكاء دابه .

قيل : بم يتبين الريادة والتقضان ؟
قال :

عند المحاسبة للنفوس :

بم عرفت الله ؟

وروي أبو يعين في «الحياة» عن سعيد بن عثمان ، قال :

سمعت ذا النور يقول :

« وصف لي رجلٌ صاحب فقصته فاقمت على يده أربعين يوماً ،

فما كان بعد ذلك ربه ، فمما رأيته من عبي ، فقلت له : سألت

ربه : بم عرفت الله ؟ . وبأي شيء تعرف إليك الله حتى عرفته ؟

فقال لى :

نعم ، رأيت أن بى حبيباً إذا قربت منه قرّنتى وأدنتى ، وإذا بعدت عنه صاح بى وندّانى ، وإذا قنت نافذة رغنّى ومناى . وإذا عملت بالطاعة زادنى وأعطنى ، وإذا عملت بالمعصية صبر على وتأنى
فهر رأيت حبيباً مث هذا ؟ .. انصرف عنى ولا تشعبنى .

إن لله عباداً لو أقسموا على الله لأبرههم :

حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن هشام ، قال
قلت لذى النون :

- صف لنا من حير ما رأيت ، فذرفت عينه وقال

« ركبنا مرة فى لبحر نريد حدة ، ومعنا فتى من أبناء ياف وعشرين سنة ، قد أسس ثوباً من الهيبة ، فكنت أحب أن أكممه فلم أستصع ،
سما نراه فرثاً ، وبسما نراه صائماً ، وسما نراه مسحاً ، إلى أن رقد ذات يوم ، ووقع فى المركب تهمة ، فجعل الناس يمشى بعضهم بعضاً إلى أن بلغوا الفتى النائم فنادى صاحب لصرة :
- لم يكن أحد أقرب إلى من هذا الفتى لئام .

فلما سمعت ذلك فحمت وأيقظته ، فمكرب منه إلا أن توضأ للصلاة وصلى أربع ركعات ، ثم قال :

- يا فتى ، ما تشاء ؟

فقلت : إن تهمة وقعت هي المركب ، وإن الناس قد فتش بعضهم
عصا حتى يدعوا إليّ
ولم يلب إلى صاحب الصرة وقال
- اكما يقول .

فقال نعم ، لم يكن أحد أقرب إليّ منك
فرفع المتى يديه يدعو وحثت على أهل المركب من دعائه ، وخيل
لي أن كل حوت في البحر قد حرج . وفي هم كل حوت ذرة ، فقام
لقتي إلى حوضه في هم حوت وحده فأشاد إلى صاحب الصرة ،
وقال

- في هذه عوضاً عما ذهب منك ، وانت في حلّ

كيف السخاء ؟

وعن محمد بن أحمد الشمس طي ، قال سمعت ذا النور يقول
« بينما أنا أسير في حبلى الصاكية إذا آن حاربه كأب مجونة
وعين جنة من صوف ، فسلمت عنده ، فرددت سلام ثم قلت .
- السفت ذا النور ؟

قلت : عافاك الله ، كيف عرفتني ؟

فأنت

عرفتك باتصال معرفة حب الحبيب . ثم قلت

- سالك عن مسألة ؟

قلت : سألني .

قالت .

كيف السحاء ؟

قلت : البذل والعطاء .

قالت :

هذا سحاء في الدنيا ، فما اسحاء في الدين ؟

قلت : المسارعة إلى طاعة مولى يال منه حير

قالت :

لبئال منه حيرا !

قلت : نعم ، الخمسة عشرة أمثالها

قالت :

سرّيا بطال ، هذا في الدين قبيح ، ولكن المسارعة إلى طاعة المولى

ن يطلع على قلبك وانت لا تريد منه شيئا بشيء ، ويحك يا ذا انون

، انى ارد ان اطلب منه شيئا - منذ عشرين سنة - فستحى منه ان

اكون كاجير السوء اذا عمل طلب اجرا ، ولكن اعمل تعظيما لهيبته

وعرته وجلاله . ومرباً وتركتى ^(١) .

كل مطيع مستأنس .

وقال : وجدت مكتوب على صحفه بيت مقدس

" كل عاص مسفوحش وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب

وكل راج طالب ، وكل قانع غنى ، وكل محب ذليل " .

(١) أخرجه أبو يعقوب في " حيد

فمكرت فإد هي أصول لكل ما استعد الله به الخلق

سبحانه.. ما أمهله للأنام !!

حدثنا سعيد بن الحكم قال : سمعت ذا النور يقول .

« دخلت على متعبدة ، ففقت بها كعب أصبحت ؟

فأب

أصبحت من الدنيا على فناء . مبادرة للجهاز . متأهبة لهول يوم

الجواز ، لله على نعم اعترف ببقصبري عن شكرها ، وأقر بضعفي عن

إحصائها ، وذكرها ، قد غفلت القلوب عنه وهو منشيها ، وأدبرت عنه

النفوس وهو يناديها .. فسبحه ما أمهله للأنام .. مع تواتر الأبادي

والإنعام .»

في بلاد الشام :

سبحان من أذاق قلوب العارفين حلاوة الانقطاع إليه

قال : وسمعت ذا النور يقول :

« ينم أنا أمير في بلاد الشام ، إذ أنا بعد حرج من أحد

الكهف ، فمما نصر إلى استترين الأشجار ثم قال

اعوذ بك - سيدي - ممن يشغلني عنك يا ماوى العارفين ، وحبيب

النواصبي ومعين الصائفين ، وعمايه أمل المحيبي

ثم صاح

واعداه من قبة السعد . . . ربه من طول المكث في الدنيا.

ثم قال

سبحان من اداق قلوب العارفين به خلاوة الانقطاع اليه فلا شيء
الذ عندهم من ذكره ، والخلوة بمناجاته

ثم مصى وهو يقول

قدوس ، قدوس ، قدوس .

فناديه : أيها العابد ، قف لي . . . فوقت من وهو يقول .

ـ اقطع عن قلبي كل علاقة ، واجعل شغله بك دون خلقك

فسألت عنه ثم سألته ان يدع الله لي ، فقال

ـ حقق الله عليك مؤن نصب اسير اليه ، وذلك على رضا حتى لا

يكون بينك وبينه علاقة طلب مدعة و دينا

ثم سعى من بين يديه كالهرب من سبع .

* * *

المُناجى

إن المساجد لله - سبحانه - محتف - مختلف درجات درجات ، أساس
الروحانية ، وهي تتدرج عند كل شخص مع درجته في معرفته إلى
الله سبحانه وتعالى .

إن مساجد الدين بدءوا معراجهم إلى الله تعالى عن طريق الحصة
الأولى وهي التوبة إنما تكون في جو :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

تكون في جو هذه الآية معناه المألوف ، أي أنه بعد ارتكاب
المعصية يحاول إزالتها ويرى ربه - مستوية الصدقة .

ويقول : « معناه المألوف » ؛ لأن هذه الآية الكريمة بقولها
« ارتكب للمعصية » فتكون بمعنى ، ويقربها الصالحون فيتلون معناها
سواء آخر ، ويقولونها لصديقهم الذين لا يرتكبون المعصية ، وذلك
لأنهم صدقوا مع الله واستقاموا على الطريقة ، فيأخذ المعنى شكلاً
آخر .

ويقولها الأسياء والرسول ، فلا يكون بينها وبين المعصية المألوفة
صلة من قريب أو بعيد

قد طلب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ شيئاً من
الدعاء يستغفر به ، فعلمه رسول الله ﷺ الدعاء الآتي

(١) سورة الأعراف : ٢٣

«اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً (وفي رواية كبير) ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» .

وهذا الدعاء إما هو دعاء من جو التوبة ، ولكيه على لسان أبي بكر رحمته لا يمت سبب - من قريب أو من بعيد - إلى جو المعاصي التي تحدث من العامة أو الخفية .
ورسول الله ﷺ يقول

«يا أيها الناس ، توبوا إلى الله واستغفروه ؛ فإنني أتوب إليه واستغفره في اليوم مائة مرة»

وتوبة رسول الله ﷺ ، إما هي توبة عبدة ، تصل بكثرة الحسنة ، ولا صلة لها بالسيئات .
ولقد كان من دعاء رسول الله ﷺ - كما روى الشيخان ، سندهما - عن أبي موسى عبد الله بن هاشم رحمته :

«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وحطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر . وأنت على كل شيء قدير»

وهذا الدعاء من رسول الله ﷺ ، وأمثاله ، إنما هو عبدة له سبحانه في صورة من صور العبادة ، وهي صورة استدلال والعوديه ، والاستعداد عن كل صور المخير والكرياء . وإدعاء الكمال وحو التوبة - بحسب هذا الشرح - تدعى شرحه - يختلف باختلاف

الذين ياتون الله، ويتسألي هذا الجحش شيئاً فشيئاً، ويسير من التوبة
عن معاصي إلى التوبة التي هي عبودية، تلت التي إذا أكثر الإنسان
منها أدخلته في رحاب حب الله به :
« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ » (١)

ومجاة أهل الورع إنما هي جو :

« اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حِرَاطِكَ ».

وهذا الدعاء معناه الحرقي هو من سمات أهل الورع، وعدة
كبر في نواحي مدية، ولكن معناه أيضاً يحمي لأشكال كثيرة من
المعاصي بحسب القادر، وتوسع معنى غشمن أو حدائيت
حطرات الشمس وهمسات الضحير.

ومساحة الراهدين إلى تكون تصرع إلى الله سبحانه حتى يسر
لهم التحقق بمعنى الآية الكريمة :

« لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا لَاتُكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » (٢)

فإذا واحد التحقق بمعنى الآية الكريمة وجد بهد

« قد يكون من مساحة لز هدين طلب السعة في ررق مثل

« اللَّهُمَّ وَسِّعْ عَلَيَّ رِزْقِي فِي دُنْيَايَ ، وَلَا تَحْجُبْنِي بِهَا عَنْ آخِرَايَ »

ولكن هذا الدعاء يكون في جو :

« لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا لَاتُكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » (٣)

(١) سورة البقرة ٢٢٢

(٢) سورة الحديد ٢٣

وأيُّوا الحسَن الشَّادِي الذي كان يقول هذا دعاءه . كان يقول أيضا
عن الدنيا .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا فِي أَبَدِيذٍ وَلَا تَجْعَلْهَا فِي قُلُوبِنَا »

وهذا يماشى مع حرِّ الآله الكريمة .

ولا تنافي لعمري و بمرهده . دس . حيمما يستحق للإسباب خير
الشريف لأية لقراءة الكريمة

وما جاء المتوكِّين يكون في حرِّ لا يد كريمة

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

وهم يوقنون بالحقيقة القرينية .

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٢)

وأحواء المناجاة لا تكاد تُحد:

صها حر مؤمن ال عمرحور . وهو حر حر

﴿ وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣)

وثمره هذا الحور إذا تحققت له الإسباب هـ ما ذكره الله تعالى بقوله

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَخَافَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ (٤)

وصها الحور اليوسى :

(١) سورة المستحج ٢

(٢) سورة الطلاق ٣

(٣) سورة عم ٤٤

(٤) سورة عم ٤٥

« لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مَبَّحَاكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » (١)

وهو حور توحيد ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾ ، وتنزيهه ﴿ مَبَّحَاكَ ﴾ ، ونسبة
نُضْلَمَ مَعْنَاهُ الْحَمْدُ إِلَى النَّفْسِ ﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢)

وَمِنْهَا حور لرضا

« رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ » (٣)

ومنها حور احب

« يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » (٤)

وَأَسْمَى لَأَحْوَاءَ فِي الْمَاحِدَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ - إِنَّهُ هُوَ حور رسول
الله ﷺ ، وهو حور « الإسلام » ، سلام النفس له

إِنَّهُ حور رسول الله ﷺ الذي عمر الله سبحانه وتعالى عنه
سرح في اقتران تكريم قائلاً :

« قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)
لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) » (٥)

الله احور لدى بيته رسول الله ﷺ حبيبنا من عن الإسلام فقال
« أَنْ يَسْلَمَ لِلَّهِ قَلْبُكَ » .

فإذا ما أَسْلَمَ الْإِنْسَانُ قَلْبَهُ لِلَّهِ انْطَرَفَتْ فِي ذِمَّتِهِ ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفِ
سَلَامَةٍ . مَرْحُومٌ ، مُرْغَدٌ ، مُتَوَكِّلٌ ، مُتَوَضِّعٌ ، مُسْتَعِذٌ ، مُسْتَجِيرٌ

(١) سورة الأبيات : ٨٧ .

(٢) سورة الحديد : ٥٤ .

(٣) سورة الاحقاف : ٩٧ .

(٤) سورة الحديد : ١١٩ .

(٥) سورة الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

إن إسلام القلب لله أساس لمقامات ودروتها، وهو المعنى الحقيقي لكلمة «إسلام».

ومن هنا كانت مناجاة رسول الله ﷺ لا تُعدُّها مناجاة.

ولقد تابع المسلمون رسول الله ﷺ ، في إسلام القلب لله ، وتابعوه في مناجاته ، واختلعت مناجاتهم باختلاف منازلهم .

وإن الصوفية ، بل وغير الصوفية يُعجبون . كل العُجب . بمناجاة من عطاء الله لسكدرى ، ويُعجبون . كل الإعجاب . بمناجاة أبى الحسن الشاذلى ممثلة في أحربه وأدعيته

ونحن هنا نذكر مجموعة من مناجاة دى سون المصرى ، إنها تمثل درجته الروحية السامية ، وسرى القارئ نفسه مدى اسمو الذى يلمعه ذو النون .

يروى أبو عثمان سعيد بن الحكم قال . سمعت ذا سون يقول :

« إلهى .. إنَّ كان صغُرَ فى جنب طاعتك عمى ، فقد كَبُرَ فى جنب رجائك املى » .

« إلهى .. كيف انقلبُ من عندك محروماً ، وقد كان حُسْنُ ظننى بك منوطاً »

« إلهى .. فلا تُبطل صدق رجائى لك بين الأدميين »

« إلهى .. سمع العابدون مذكرك فخضعوا ، وسمع المذنبون بحسن عفوك فطمعوا »

« إلهى .. إنَّ كانت أسقطتنى الخطايا من مكارم لطفك ، فقد اتسنى ليقين إلى مكارم عطفك » .

١ إلهي . إن أمنتني الغفلة من الاستعداد لمقائك فقد نبهتني المعركة
بكرم الإثك .

٢ إلهي .. إن دعاني إبي النار أليم عقابك فقد دعاني إبي الحنة خريل
ثوابك »
ويقرئ :

أُصَوْتُ وَمَا مَآثُتُ إِلَيْكَ صَبَابَتِي وَلَا تُضَيِّتُ مِنِّي صِدْقَ حُبِّكَ أَوْ طَارِي
مُنَايَ الْمُنَى كُلُّ لَمْنِي أَنْتَ لِي مُنَى وَأَنْتَ الْعَنَى كُلُّ أَعْنَى عِنْدَ اقْتِبَارِي
وَأَنْتَ مَدَى سَوْسِي وَغَايَةُ رَغْسِي وَمَوْضِعُ أَمَالِي وَمَكُونُ إِصْمَارِي

* * *

تَحْمِلُ قَلْبِي فِيكَ مَا لَا أُنْبِئُهُ وَإِنْ طَالَ سَقَمِي فِيكَ أَوْ طَالَ إِضْرَارِي
وَبَيِّنْ ضُلُوعِي مِنْكَ مَا لَكَ قَدْ بَدَا وَبِمُ يَبْذُ بَادِيهِ لِأَهْلٍ وَلَا جَارِ
وَلِي مِنْكَ فِي الْأَحْشَاءِ دَاءٌ مُخَامَرُ فَقَدْ هَدَّ مَنَى الرُّكْنِ وَأَنْبَتَ إِسْرَارِي

* * *

أَلَسْتُ دَلِيلَ الرُّكْبِ إِنْ هُمْ تَحِيرُوا وَمُنْقَذَ مَنْ أَسْقَى عَلَى جُرْفٍ هَارِ
أَثَرَتِ الْهُدَى لِلْمُهَنْدِينَ وَلَمْ يَخْرُ مِنَ النُّورِ فِي أَيْسِيهِمْ عَشْرُ مَعْشَارِ
فَلْنُنِي بِعَقْرِ مِنْكَ أَحْظَى بِقُرْبِهِ أَعْلَنِي بِسِرِّ مِنْكَ بَطْرَدُ إِعْسَارِي

* * *

وعن عبد القادوس بن عبد الرحمن الشامي ، قال

سمعت أبا البيض ذي اللون يقول .

« الهى . من ذا الذى ذاق طعم حلاوة مناجاتك ، فأنبأه شئاً عن طاعتك ومرصاتك ؟ ..

أم من ذا لدى صمنت به انتصر فى دنياه وآخرته . فاستنصر به هو مثله فى عجزه وفاقته ؟ ..

أم من ذا الذى تكفلت له بالرزق فى سعمه وصحته . فاسترزق عبرك بمعصيتك فى طاعته ؟ ..

أم من ذا الذى عرفته أنامه . فلم يحتمر حوا منك مؤونة فطامه ؟ ..

أم من ذا الذى أطلعته على ما ليد . ثم انقطع اليك من كرامته . فأعرض عنك صفحاً إخلالاً إلى ادعة فى طلب راحته ؟ ..

أم من ذا الذى عرف دنياه وآخرته . فأثر القاسى على الباقي لحمفه وجهالته ؟ ..

أم من ذا الذى شرب الصدى من كأس محبتك . فلم يستبشر بقوارع محبتك ؟ ..

أم من ذا الذى عرف حس اختارل . وقدرت على نفعه وضره . فلم يكتف بك عن علم غيرك به . ولم يسغن بك عن قدره عاجز مثله ؟ ..

وعن سعيد بن الحكم القسدى ، قال . سمعت ذا اللون يقول .

« خيف لا استهج بـ سرورا : وقد كنت ألدح بيباك حتى جعلتني من أهل التوحيد »

و عن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي ، قال
سمعت أبا العيص نا النون بن إبراهيم المصري يقول :
" إلهي .. وسيدني إليك بعمك علي ، وشفيعي إليك إحسانك إني .
إلهي . ادعوك في الملا (الملا) كما تدعى لأرباب . وادعوك في الخلا
(الخلاء) كما تدعى لأحباب . أقول في الملا يا إلهي ، وأقول في
الخلاء يا حبيبى .

ارعب إليك ، و شهد لك بأربوبية . مقرا بأنك ربى ، وإليك مرئى .
أبدننى برحمتك من قبل أن اكون شيئا مذكورا وخلقتنى من تراب
ثم أسكنتنى الأصلاب . ونقشتنى إني الارحام .
أنسأت خلقى من منى يحيى ، ثم أسكنتنى فى طلمات ثلاث . بين دم
وحم ملثات . وكونتنى فى عمر صورة الإناث .
ثم سررتنى الى الدنن تاما سونا ، وحفظتنى فى المهد طفلا صغيرا
صبيا ورزقتنى من الغذاء لبنا مريا . وكلفتنى حُجُور الإسهات
واسكنت قلوبهن رقة لى وشفعة على ، وربببى بأحسن تربية .
ودبرتنى بأحسن تدبير ، وكلائنى من طوارق الجن ، وسلمتنى من
شياطين الإنس ، وصنننى من زيادة فى بدنى بسببتنى . ومن نقص فيه
يعيبنى ، فتبركت ربي وتعاليت يا رحيم .

فما سهلت بالكلام اتهمت على دوابع الإنعام . وأببى زائدا فى
كل عام . فتعاليت يا ذا الجلال والإكرام .

حتى إذا ملكتنى شائى . وشدت أركائى . اكملت لى عقلى . ورفعت
حجاب العفة عن قلبى . وألهمتنى النظر فى عجيب صناعتك . وبداع

عجائبك . واوضحت لي حجتك . وذللتني على نفسي ، وعرفتني
ما جاءت به رسلك ، وررقتني من انواع المعاش وصنوف الرياس بمنك
اعظيم ، وإحسانك القديم ، وجعلتني سويًا .

ثم لم ترض لي بنعمة واحدة دون ان اتممت على جميع النعم .
وصرفت عني كل بلوى ، وأعلمتني الفجور لاجتنبه ، واستقوى لاقتربها .
ورشدتني الى ما يقربني إليك زُلْفَى . من دعوتك بجيتني . وإن سألتك
اعطينني . وإن حمدتك شكرتني ، وإن شكرتك رددتني

إلهي .. قَائِلُ نِعَمِكَ أَحْصَى عَدَدًا ؟

.. وَأَيُّ عَطَائِكَ اقْوَمَ بِشُكْرِهِ ؟

.. كَمْ أُسْبِغْتَ عَلَيَّ مِنَ النِّعَمَاءِ ؟

.. وَكَمْ صَرَفْتَ عَنِّي مِنَ الضَّرَاءِ ؟

إلهي .. أشهد لك بما شهد بك باطني وظاهري وركاني .

إلهي .. إني لا أصيق إحصاء نعمك . فكيف اطلق شكرك عليها ، وقد

قلت وقولك الحق .

﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١١)

ام كيف يستغرق شكرى نعمك وشكرك من أعظم النعم عندي .
وانت المتعم به علي ؟ .. كم قلت سيدي . ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ

اللَّهِ ﴾ (٢) . وقد صدقت قولك ؟

(١١) سورة النحل ١٨

(٢) سورة النحل ٥٣

إلهي وسيدى .. بدت رسلك بما أنزلت إليهم من وحيك ، غير أنى
 قول بجهدى ، ومنهى على ، ومجنود وسعى ، ومبغ صاقتى .
 الحمد لله على جميع احسانه ، حمدا يعدر حمد الملائكة المعربين
 والانباء المرسلين حتى تقيم قلبى بين ضياء معرفتك ، وتذيقنى طعم
 محبتك ، وبرد بالرضا منك فؤادى وجميع احوالى ، حتى لا احسار
 غير ما نختاره ، وتجعل لى مقاماً بين مقامات اهل ولايتك ، ومضطرباً
 فسيحاً فى ميدان طاعتك .

إلهي . كيف اسررى من لا يرزقنى إلا من عسل . أم كيف اسخطك
 فى رضا من لا يقدر على شئ إلا بمكينتك ؟
 فما من أسأله ابتسأ به ، وايدأ من حلقه ، وبأ من إليه التجأئى
 هي شدى ورهائى .. ارحم غربى ، وهب لى من المعرفة ما ازداد به
 يقبأ . ولا تكلنى إلى نفسى الإمارة بالسوء طرفة عين «

وحدثنا سعيد بن الحكم ، قال : سمعت ذا النور يقول
 حارب فى طلب المسجده ، فإذا ن بصبوب . فعدت إليه ، فإذا
 رحل قد عصى فى بحر ربه ، وخرج على ساحل الكمه ، وهو
 يقول فى دعائه :

« أنت تعلم نى لأعلم أن الاسعفار مع الاصرار لؤم ، وإن تركى
 الاسعفار مع معرفتى بسعه رحمتك لعجز .

إلهي .. أنت الذى حصصت خصائصك بخالص الاخلاص ، وأنت
 الذى سممت قلوب العارفين من اعتراض الوسواس ، وأنت الذى نسنت

الانس من اوليائك ، واعطيهم كفايه رعاية الموكلين عبك ، تكلؤهم
في مصابيحهم ونطلع على سر ثرهم وسرى عندك مكسوف وأنا اين
ملهوف ؟

قال : ثم سكنت فلم اسمع له صوتا

ثم سمعته يقول

” لك الحمد يا ذا المن والطول ، والآلاء والسعة ، ايك بوحها ،
وبهايك انخنا ، ولعروك تعرصت ، وبقربك تولنا ، يا حبيب
لبابير ، ويا سرور العابدين ، ويا انيس المنفردين ، وب حرر
للاحدين ، ويا طهر المنقطعين ويا من حب اليه قلوب العرقين ، وبه
نست افئدة الصديقين ، وعليه عكفت رهبة اخائفين

يا من اذاق قلوب العابدين لذيذ الحمد ، وحلاوة الانقطاع اليه
يا من نقل من باب ، ويعفو عن باب ، ويدعو المولى كرما ، ويرفع
المقبلين اليه تفصلا

يا من يئاني على اخاصين ، ويحلّم عن الجاهين
يا من حل عقدة الرعية من قلوب ولدته ، ومحا شهوة الدنيا عن
فكر قلوب خاصته واهل محبته ، ومنحهم منازل العرب والولاية ،
ويا من لا يصيح مطيعا ، ولا ينسى حيبا .

يا من منح بالحوال ، ويا من جد بالانصال ، يا ذا الذي استدرل
بالنوبة ذنوبنا ، وكشف بالرحمة غصومنا ، وصفح عن حرمنا بعد
جهلنا ، وحسن الينا بعد اساءتنا ، يا آس وحشنا ، ويا صيب سقمنا .

يا عبائ من اسقط يده ، وبمكر حبل المعاصي من عنقه ، وقَرَّ حذر
الحياء عن وجهه . هبْ خدودنا للسراب بين يديك يا خير من قَدَر .
وأراق من رَحِم وعفا ١

وكان ذر النون يقول في مناجاته :

« يا واهب المواسم ، ومحرر العباب ، اغوِّبْ من النزل بعد
الوصور . ومن الكدر بعد الصفاء . ومن الوحشة بعد الانس . ومن
طائف الحسرة معارض الفترة . ومن تعيير ارضنا »

وروي عن ياكوبه عن يوسف بن الحسين قال : كان من مناجاه ذي
نون أنه كثيرا ما كان يقول :

« اللهم بحياتك الدائمة القائمة على كل نفس بما كسبت . أكس
وجهي حياء . وارزقني طاعةً أطعك بها هي الدنبا »

في كتابه يقول :

« لأن مددت يدي إليك داعيا . لطالما كفتني ساهيا . كيف يشقى
بالدعاء من كفى قبل الدعاء ؟ ..

السهم حسبي من سواي علمك بحالي »

وقال : وسمعت ذا النون يقول :

« لأن مددت يدي إليك داعيا ، لطالما كفتني ساهيا ،

.. أقطع منك رجائي بما عملت يداي ؟

.. حسبي من سواي علمك بحالي » .

وقال :

" إلهي .. إن الشيطان لم عذوّ ولم عذوّ ، ولم يعصه بشيء أنكى له
من عقوق عذّا ، فاعفُ عني ، "

وعن عبد الله بن محمد بن هيمون : قال : سمعت ذا النون يقول
في صلاته :

" سيدي ، زمان مكيد ، ولاء عتيد ، وجهد جهيد ، وامن بعيد ، وشيطان
مريد ، وعيش كدود ، وعدو حسود ، وخلف موجد ، ووفيق مفقود ،
فكيف انجاة إلا بعصمتك أيها المعبود "

عن محمد بن عبد الملك ، قال سمعت ذا النون يقول
" اللهم اجعلنا من الذين استنبطوا الحذر ، وقراوا صحف الخطايا ،
واكثروا [من التفكير في] دواوين الذنوب ، فأورنهم الفكره الصالحة
في المنقلب " (١)

عن أحمد بن علي الخدادي ، قال :

كنت عند ذي سون وعنده جماعة من المتعلمين ، فتأخروا
رأدع لنا يا أبا الفيض ؟
فقال لهم :

" جعلكم الله من الذين سلكوا خلاف دار الظالمين ، واستوحشوا من
مؤانسة الجاهلين ، وجتنوا ثمار الكد ، فورثهم حسن المآب ، فقطعوا
الاحزان ، ووصلوا الى الحنان ، وامنوا من البوار فاستقرت بهم الدار ،
بقرب الملك الجبار " .

(١) أخرجه بن ميمون

و عن محمد بن أحمد الشمشاطي ، قال . سمعت داود بن يقطين يقول
« إن لله عبداً ملأ قلوبهم من صفاء محبته وهيج أرواحهم بالشوق
إلى رؤيته ، فسبحان من شوق إليه أنفسهم ، وأدنى منه همهم ، فهو
مؤنس وحشتهم وطيب أسقامهم .

إلهي .. بك تواضعت أبدانهم ، وإلى الزيادة منك ابسطت قدامهم ،
فدقتهم من حلاوة افهم ما طببت به عيشهم ، وأدمت به نعيمهم ،
ففتحت لهم أبواب سمواتك ، وأبحت لقلوبهم الجولان في ملكوتك
عليك معلول شوق المشتاقين ، وإليك هفت قلوب العارفين . وبك
أست قلوب الصادقين ، وعليك عكفت رهبة الحائزين . وبك استجارت
أفئدة المفصرين ، قههم لا يسكنون إلى محادثته الفكر فيما لا
يعنيهم ، ولا يفكرون عن اللعب والسهر .

يأجور ربهم بالسنتهم ، ويتضرعون إليه بمسكنتهم ، يسألونه
العفو عن زلاتهم ، والصفح عما وقع من الخطايا في أعمالهم . فهم
الدين نابت قلوبهم بذكر الأحرار ، وخدموه خدمة الأبرار الذير خفت
أعمالهم عن الحفظة ، فوقع بهم ما أمثوه من عفوهم ، ووصلوا إلى ما
أرادوا من محبته . فهم - والله - الزهد والعباد ، الذين حملوا أثقل
الزمان فلم يتألموا . وثبتوا في مواطن الامتحان فلم تزل أقدامهم عن
موصعها ، حتى ملكهم الدهر ، وهبهم المصائب ، وذهبوا بالصدق
والإخلاص عن الدين .

إلهي . فبك نلوا ما أمثوا ؛ إذ كنت لهم - سيدي - مؤيد ، ولعقولهم
معيّن . حتى انطقتهم بلسان الصادقين في علمك واوصيتهم إلى

منازل المخلصين في معرفتك ، فهم إلى وعد سيدهم مطيعون ، وإلى ما عنده ناظرون.

ذهبت لألام من ألدانهم لما أذاقهم من حلاوة مباحاته ، ولما أذاقهم من طرائف القوائد من عنده ، فبها حسبهم والليل فد قبل بحتاس^(١) تلمسه ، وهدأت عنهم اصوات خليقته ، وقد قدموا إلى خدمة سيدهم ابدي وفقهم لما يعملون ويؤمنون . فخطر على سرهم أن ذلك المقام ابدي يقومون فيه لرب العالمين ، فاحلعت قلوبهم وذهلت عقولهم ، وصاروا كالمعلق بين السماء والارض... خيار ابرار : أنسوا ببقين المعرفة ، وسكنوا لى روح احياء والمراقبه^(٢) .

وقال

« اسالك باسمك الذى ابدعت به عجائب الخلق ن نجعلنا من الذين سربوا بكاس المصفا فاورثهم الصبر على طول ابلا حتى نولت قلوبهم فى الملحوت ، وجالت بين سائر حجب الجبروت ، ومالت ارواحهم فى ظل برد نسيم المشدقين ، الذين اماخوا فى رياض اراحة ، ومعدن العز . وعصت المخلصين »

وقال ذو النون :

« إلهي .. ما أصغى إلى صوت حيوان ، ولا حفت شجر ، ولا خربو ماء ، ولا ترثم طير . ولا تنعم ظل ، ولا دوى ربح ، ولا قعقة رعد : إلا

(١) بحتاس : تلمس ، والليل شديدة ظلمة . رأسر : ح . ن . ف . ه . سود

يرجع بحتاس . والخصم . ثلاث ليل من خير شهر

(٢) آخره أبو معصم

وحدسها بشاهدة موحدانبتك، داله على كمان عرب، وعلى انه ليس كمثلك
شيء . ويب غالت لا يغيب . وعلم لا يحيل ، وحليم لا يفسخه ، وعدل
لا تحور ، وصادق لا تكذب .

الهي . فاسى اعترف بما دل عليه صديك ، وشهد به قعد . فتهب لى
- اللهم - صل رضاء برضاى عبد . وسرّة الواسد بولد بذكرك لحي
لك ، ووقار الطمانينة وتطلب اقرب منك .

الهي عرفنى عيوب نفسى وافصحها عدى للبرء عيب . وبهبل
إليك بين يدك حاصعا دليلا فى ن يغسلنى منها ، واجعنى من عباد
الذين سببت بدائهم وعانت قلوبهم ، تجول فى ملكوك . وتتفكر فى
عجائب صنعك . ويرجع نفوسك بعرفك وعوائد احسانك . قد اليسبهم
جمع محبتك . وحلعت عليهم لباس النريس بفخر

لهي لا سرور ببنى وبني قصى مرادك منى حجابا الا هنكته . ولا
حاجزا الا رفعه ، ولا وعرا الا سلبه ، ولا بابا الا فتحه ، وبرء
بارصا منك فواءى وجميع حوائى . حتى لا اخبر غير ما تخفاه .
وتجعل لى مقاماً بين مقامات اهل ولاسل . ومصطرب فسد فى مبدان
طاعتك

الهي . كيف استرزق من لا يرزقنى الا من بصلك .

ام كيف استنصر من لا ينصرنى الا بك .

ام كيف اسخطك فى رضا من لا يفسر على صبرى إلا بنحكيتك .

قد من أسأله يناسا وامانا من حقه . ويا من اليه لجأ فى شدنى

ورحائى ، ارجع غربتى . وشي لى من المعرفة ما ارداه به يقينا

ولا نكئى الى نفسى الامارة بالسوء صرعه عين "

وعن عثمان بن محمد العثماي قال : أشدني العباس بن أحمد
بني أسود المصري

إذا ارتحل اكرام إليك يوما ليلتبسوك حالا بعد حال
فإن رحالنا حطت لترضي بحلمك عن حلول وارتحال
نحنا في فئائك يا إلهي إليك معرصين بلا اعتدال
فشئنا كيف شئت ولا تكلنا إلى تدبيرنا يا ذا المعالي

وعن يوسف بن الحسين ، قال : سمعت ذا النون يقول :
« اسمعت بفعلك الحمود ، وعهدك المعهود .. إلا نخذلوك خلبلا .. »
وسمعه يقول

« أشرق لدوره السموات ، وآنار بوجهه الظلمات ، حجب حلاله عن
العيون ، وواصل به معارف انفلوب ، وتاجاه على عرشه الستة
الصدور .

إلهي .. تسبح بك كل شجرة ، وبك تقدس كل مدرّة ، بأصوات خفية
وتعمات ركية .

إلهي .. قد سعت بين يديك قدمي ، ورفعت إليك بصري وسفت إلى
مواهبك سي ، وصرخ إليك صوتي ، وأنت الذي لا يضجره النداء ،
ولا يخيب من دعاءك .

إلهي .. هب لي بصراً يرفعه إليك صدقه ، فإن من تعرف بك غير
مجهول ، ومن يئود بك غير مخذول ، ومن يبتهج بك لمسرور ، ومن
يعصم بك لمنصور » (١)

() أخرجه أبو نعيم

وعن الحسن بن عيسى بن حالف قال سمعت بسر فيل يقول
سمعت ذا النون يقول :

« يا رب . أنت الذي دخل في رحمتك كل شيء ، فلم نضق إلا عمن
ارتحل به الشك إلى جحدرك » .

وفي « الخلية » قال ذو النون

« اللهم اجعلنا من الذين نفكروا : فاعتبروا . ونظروا : فادبروا ..
وسمعوا : فسلطت قلوبهم بالمبرعة إلى طلب الأحرار .. حتى أناخت
واكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها . فقبضوا بنور الحكم ما رتقته
قُلُمُ العقلاء .. وفتحوا ابواب معانيق العمى بانوار مفاتيح الصفاء .
وعمروا محاسن الذاكرين بحسن ستدامة اثناء .

اللهم اجعلنا من الذين أسبلت عليهم سُرور عصمة الأولياء
وحصنت قلوبهم بطهارة الصفاء .. وزينتها بالفهم والحياء : فطيرت
همومهم في مكوت سمواتك حجاباً حجاباً ، حتى انتهت إليك هرداءهم
بطرائف البوائد .

اللهم اجعلنا من الذين سهل عنهم الطاعة . ومكنوا من أزمة
التقوى .. ومُنحو بالسوق منار الأبرار . قُرُبنوا وقربوا وأكرموا
بخدمتك » .

(١) أزمة التقوى ، أي برزخها وبرزخها

وقال

« انك ملك مقدر وانا عبد مفتقر، سالك اعفو سئلا . فعطيه
تفضلاً » .

وقال

« الهى . ان كان صغر فى حب طعتك عملى ، فقد كبر فى حب
رجائك املى .

إلهى . انا عبدك المسكين ، كيف اقلب من عند محروما وقد كان
حسن طلى بجورك ن يقبلنى بالنجاه مرحوما .

إلهى .. سمع العابدون بذكرك فخضعوا ، وسمع المذنون بحسن
عفوك فطمعوا .

إلهى . إن كانت اسقطنى الخطايا لديك ، فاصفحها لى بحسن
توكلنى عليك .

إلهى . إن كانت اسقطتنى الخطايا من مكارم لطفك ، فقد أنسى
اليقين إبنى مكارم عصفك » .

وعن على بن الهيثم المصرى ، قال :

سمعت داود المصرى يقول أنا الفيض يقول

« اللهم اجعلنا من الذين جاوروا دار الظالمين ، واسنوحشوا من
مؤانسة الجاهلين ، وشابوا حمرة العمل ببور الإخلاص ، واشفقوا من
عين الحكمة ، وركبوا سوية الفتنة ، واقلعوا بريح اليقين ، ولحجوا فى
بحر النجاة ، ورأسوا بشط الإخلاص .

اللهم اجعلنا من الدين سرحت ارواحهم في الغلا، وحطت همم قلوبهم
في عاديات النقي، حتى اباخوا في رياض النعيم، وجدوا من رياض ثمار
النسيم، وخاضوا لجة السرور، وشربوا بكاس العيش، واستظلوا تحت
العرش في الكرامة.

اللهم اجعل من الدين فتحوا باب الصبر، وردموا حنادق الجزع،
وجازوا سدود العقب، وعبروا جسر الهوى، فبته تعالى يقول:
« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ (٤٢) » (١).

اللهم اجعلنا من الدين اسارتهم اعلان الهداية، ووصح لهم طريق
الحياة، وسلخوا سبيل خلاص الدين.

وعن سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون يدعو:
« اللهم منع ابصارنا باجولال في جلالك، وسهرنا عما نام عنه
عبون اغافلين، واحعل قلوبنا معقودة بسلاسل لنور، وعلقها بأطناب
النور، ويزد ابصارنا عن موقف المتحيرين، واطلقنا من الأسر لنجول
في خدمتك مع الجوالين.

اللهم اجعلنا من الذين بخدمتك في أقطار الارض طلابا، ولخصائص
صفيتك اصحابا، وللمريدس المعتكفين بيدك احبابا ».

وعن محمد بن عبد الملك بن هاشم، قال:

سمعت ذا النون المصري يقول في دعائه.

(١) سورة السجدة ٤١، ٤٢.

اللهم إليك تقصّد رغبتى ، وإليك أسأل حاجتى . ومنك أرجو نجاح طلبتى ، وببيدك مودّتيح مسألتى ، لا أسأل الخير إلا منك ، ولا أرجوه من غيرك ، ولا أياس من روحك بعد معرفتى بفضلك ، يا من جمع كل شيء حكمته ، ويا من نفذ فى كل شيء حكمه ، يا من الكريم اسمه ، لا أجد لى غيرك فأسأله . ولا ثقب بسواك فأمله . ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها ، واتوكل عليه . فمن أسأل إن جهلّك ؟ .. وبمن وثق بعد إذ عرفك ؟

اللهم إن ثقتى بك . وإن ألهتنى الغفلات عنك وأبعدتنى العثرات منك بالاعتذار . نا نعمة منك ، ونا قدر من قدرك . احرى فى نعمك ، وأنسرح فى قدرك . لا أزداد على سابقة علمك . ولا أنتقص من عزيمة امرك . فأسألك يا منتهى السؤال ، وأرعب إليك يا موضع الحاجات ، أن تهب لى ايضاً أقدم به عليك . وإن تهب لى يقينا لا تؤهنه شبهة إقك نرحب به صدرى ، وتيسر به امرى . وياوى لى محبتك قلبى ، حتى لا الهو عن شكرك ولا نعم إلا بذكرك ، يا من لا تملّ حلاوة ذكره لسنّ الخاشعين ، ولا تكلّ من الرغبات إليه مدامع الخاشعين ، أنت منتهى سرامر قلبى فى خفايا الكتم . وأنت موضع رحاى بين إسراف لظلم .

من ذا الذى داق حلاوة مناجاتك ، فلهى بمرضاة بشر عن طاعتك ومرضاتك ؟

رباً افحتت عمري فى شدة السهو عنك . واطعت شياىى فى سكره . تتساعد منك ، بم لم استعطى بك كلاءة ومنعة فى أيام اغترارى بل وركونى لى سبيل سخطك ، وعر جهل - يا رب - قرأى العرة لى

غضبك ، أنا عبدك ابن عبدك ، قائم بين يديك ، متوسل بكرمك إيت ، فلا
يزلني عن مقام أقممتني فيه غيرك ، ولا يفتني من موقف السلامة من
نعمك إلا أنت ، أتصل إليك مما كنت أواجهك به من قلة استحيائي من
نصرك ، وأطلب العفو منك يا رب ؛ إذ العفو نعمة لكرمك ، يا من
يُعصى ويُتاب إليه قبرضى كأنه لم يعص ، بكرم لا يوصف ، وتَحَنُّن
لا يُنعت ، يا حَذَنُ بشفقته ، يا متجاوزاً بعظمته ، لم يكن لي حولٌ
هانتقل عن معصيتك إلا في وقت أيفظنني فيه لمحبتك ، وكما أردت أن
أكون كنت ، وكما رضيت أن أقول قلت ، خضعت لك وخشعت بك .
إلهي .. لتُعزِّي بإدخالني في طاعتك ، ولتنظرُ إلى بظر من ناديتَه
فأجابك ، واستعملته بدعوتك فأطاعك ، يا قريب لا تبعد عن المغترِّين ،
ويا ودود .. لا تُعجلْ على المذنبين .. اعفُ لي ، وارحمني ، يا أرحم
الراحمين » .

وعن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي قال : سمعت ذا النور
يقول

« إلهي . إن أهل معرفتك لما انصروا العاصية ولمحو نابصارهم إلى
منتهى العاقبة ، وأيقنوا بجود وكرمك ، وأبدانك إيّاهم تتعبد ،
ودلتهم على ما فيه نفعهم ، إذ كنت معالماً عن المضر والمذفع ،
استغلوا كنس ما قدموا من طاعتك ، واستصغروا عظيم ما خرفوا
من عبادتك ، وسئلانوا ما استوعروا غيرهم ، بذلوا المجهود في طلب
مرضاتك ، واستعظموا صغير انتقصير في أداء شكرك ، فتحييتُ بذلك

أبدانهم . وتغيرت لذلك أنواتهم . وحلت من غيرك قلوبهم . وشتقلت
بذكرك عقولهم واستنثهم . وانصرفت عن حلقك إليك هودهم . وانست
وطاست بالخلوة فيك نفوسهم . لا يمشون بين العباد إلا هونا ،
وهم لا يسمعون في طاعتك إلا ركضا .

إلهي .. فكما تكرمتهم بشرف هذه المنارل ، وأحسنهم رفعة هذه
الفصائل ، أعقد قلوبنا بحبل محبتك ، ثم جولنا في مكوت سمواتك
وأرضك ، واستدرجنا إلى أقصى مرادك درجة درجة ، واسلك بنا مسلك
اصفيك منزلة منزلة ، واكشف بنا عن مكبوت علمك حجابا حجابا
حتى ينتهي إلى رياض الأنس ، ونجتني من قمار اشواق إليك ، ونشرب
من حياض معرفتك ، وستره في بساطين نشر الأثك ، ونستقم في
عدران ذكر نعماتك ، ثم أرددها إلينا بطرف الفوائد ، وامددها بتحف
امزوائد . واجعل لعبون منا فؤارة بالعبرات ، والصدور منا محشوة
بالحرقات . واجعل قلوبنا من القيوب التي سافرت إليك بالجوع
واعطش . واجعل أنفسنا من الأنفس التي زالت عن احيارها لهيبك .
أحيينا ما أحيينا على طاعتك . وبقينا إذا بوقيد على منك راضين
مرصين ، هداه مهدين . غير مغصوب علينا ولا ضالين «

وعن عثمان بن محمد العثماني ، قال :

أشدني محمد بن عبد الملك بن هاشم لذي لمز بن إبراهيم
المصري ، رحمه الله تعالى :

لَحْمَدُ لَهُ حَمْدًا لَا تُفَادِلُهُ
حَمْدًا يَقُوتُ مَدَى الْأَحْصَاءِ وَالْعَدَدِ
مَلَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ مَدًّا خَلَقَتْ
وَوَزَنَهُنَّ وَضَعَفَ الصَّغْفَرُ فِي الْعَدَدِ
وَصَغَفَ مَا كَانَ أَوْ مَا قَدْ يَكُونُ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ يَقْنَى مَدَى الْأَمَدِ
وَضَعَفَ أَنْعَمُهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
وَكُلِّ نَفْسَةٍ نَفْسٍ وَانْتَسَابِ
شُكْرًا لِمَا حَصَّنَا مِنْ فَضْلِ بَعْمَتِهِ
مِنْ الْهُدَى وَلِصَفِ الصَّنْعِ وَالرُّقْدِ
رَبِّ تَعَالَى .. فَلَا سِيَّءٌ يُحِيطُ بِهِ
وَهُوَ الْمُحِيطُ بِنَا فِي كُلِّ مُرْبَعٍ
لَا الْإِثْرَ وَالْحِسْنَ وَالْكَيفَ يُدْرِكُهُ
وَلَا يُحَدُّ بِمِثْلِهِ وَلَا أَمَدُ
وَكَيْفَ يُدْرِكُهُ حَدٌّ وَلَمْ تَرَهُ
عَيْنٌ وَسَيَّرَ لَهُ فِي الْمَثَلِ مَنْ أَحَدُ
أَمْ كَيْفَ بِيْلُغُهُ وَهَمْ بِلَا شَبَهٍ
وَقَدْ تَعَالَى عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْوُجُوهِ

مَنْ أَنْشَأَ الشَّيْءَ قَبْلَ الْكَوْنِ مُبْتَدِعًا
 مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ قَدِيمٍ كَانَ فِي الْأَبَدِ
 وَدَهْرَ الدَّهْرِ وَالْأَوْقَاتِ وَاحْتَكَمْتُ
 بِمَا بَشَاءَ فَلَمْ نَنْقُصْ وَلَمْ نَزِدْ
 إِذْ لَا سَمَاءَ وَلَا أَرْضَ وَلَا شَيْحَ
 فِي الْكَوْنِ سُبْحَانَهُ مِنْ قَاهِرٍ صَمَدٍ
 مَا زَادَ بِالْخَلْقِ مِنْكَ حِينَ أَنْشَأَهُمْ
 وَلَا نُرِيدُ بِهِمْ دَفْعًا لِمَضْطْهِدٍ
 وَكَعِيفٍ وَهُوَ غَنِيٌّ لَا أَفْقَارَ بِهِ
 وَالْخَلْقُ تَضَطَّرُّ بِالتَّصْرِيفِ وَالْأَدَدِ
 وَلَمْ يَدْعِ خَلْقَ مَا لَمْ يَبْدَأْ خَلْقِيهِ
 عَجَزًا عَلَى سُرْعَةٍ مَعَهُ وَلَا تَوَدُّ
 إِحْاطَةَ بِجَمِيعِ الْغَيْبِ عَنْ قَدْرِ
 أَحْصَى بِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ وَمُعْتَقَدٍ
 وَكُلُّهُمْ بِضُطْرَارِ الْفَقْرِ مُعْتَرِفٌ
 إِلَى قَوَاضِيهِ فِي كُلِّ مَعْتَمِدٍ
 الْعَالَمُ الشَّيْءَ فِي تَصْرِيفِ حَالِهِ
 مَا عَادَ مِثْلَهُ وَمَا يَمْضِي فَلَمْ يَعُدْ

وَيَعْلَمُ السِّرَّ مِنْ نَجْوَى الْقُلُوبِ وَمَا
 يَخْفَى عَلَيْهِ خَفِيَ جَالٍ فِي حَيْدٍ
 وَيَسْمَعُ الْحَسَنَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى وَيَرَى
 مَذَارِجَ الدَّرَجِ فِي صَفْوَانِهِ الْجَدِّ
 وَمَا تَوَارَى مِنَ الْأَبْصَارِ فِي ظَلَمٍ
 نَحَتْ الثَّرَى وَمَرَارَ الْغَمْرِ وَالْأَمْرِ^(١١)
 الْأَوَّلُ الْآخِرُ الْفَرْدُ الْمَهِيْمُنُ لَمْ
 يَفْرُبْ وَلَمْ يُنْكَرْ لِلْقُرْبِ وَبُعْدِ
 إِنْ عَلَى عِلْمٍ قَدِيمٍ لَا زَوْلَ لَهُ
 وَلَمْ يَرَلْ أَرْجَا غَيْرَ ذِي فَسْقَدِ
 وَجَلَّ فِي الْكُنْهِ عَنْ وَصْفِ الْمَصْفَاتِ وَعَنْ
 مَقَالِ ذَوِي الشُّكِّ وَالْإِلْحَادِ وَالْعِنْدِ
 مَنْ لَا يُحَازِي بِدُعْمَى مَنْ فَوَاضِيهِ
 وَلَمْ يَدْلُهُ بِمَدْحٍ وَصَفٍّ مَجْدَّهِ
 مُسْتَبِحٌ بِلُغَاتِ الْفَارَقِينَ بِهِ
 لَمْ تَدْرِ مَا غُنْمُهُ رَنَّا وَلَمْ يَجِدْ

(١١) الله تعالى

انفلق السُّور والظَّلماء وهي على

مَا تُقَادِّفُ بِالْأَمْوَاجِ وَالزُّبُرِ

بِرَأْسِ السَّمَوَاتِ سَقْفًا ثُمَّ أَنْشَأَهَا

سَبْعًا طَبَاقًا بِلَا عَوْنٍ وَلَا عَقْدٍ

تَقْلُهُنَّ مَعَ الْأَرْضِينَ قُدْرَةً

وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَنْقُلْ وَلَمْ يَكُنْ

وَبَثَّ فِيهَا صَوْقًا مِنْ يَدَائِعِهِ

مِنَ الْخَلَائِقِ مِنْ مَنَى وَمِنْ وَحْدٍ

مِنْ كُلِّ جَنَسٍ بِرَأْسِ أَصْنَافِهِ وَذُرَا

أَشْجَارِهِ بَيْنَ مَكْسُوفٍ وَمُنْجَرِدٍ

فِيهَا الْمَلَائِكَةُ بِالشَّيْبِ خَاضِعَةٌ

لَا يَسَامُونَ بِطُولِ الدَّهْرِ وَالْأَمَدِ

وَصِيرَ الْمَوْتَ فَوْقَ الْخَلْقِ لَا لَجَا

مَنْهُ وَلَا هَرَبَ مِنْهُ إِلَى سَبَدٍ

فَالْكُلُّ مَيِّتٌ وَكُلُّ هَالِكُونَ خَلَا

وَجْهَ إِلَهِ الْكَرَمِ لِدَائِمِ الصَّمَدِ

أَفْنَى الْقُرُونِ وَأَفْنَى كُلِّ دِي عُمْرِ

كَعُمْرِ نُوحٍ وَنُحْصَانِ أَخِي لَيْسَ

يَا رَبُّ نَكِّ دُوْ عَفُوْ وَمَغْفِرَةٍ
فُنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ الْمَوْقِفِ التَّكْدِ

واجعلنا إلى جنة الفردوس مودنا
مع النبئين والأبرار هي الحُمد

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزِّ مِنْ مَلِكِ
من اهتدى بهتدى رب العالمين هدى

الواعظ

يقول سبحانه :

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١)

لقد جعل الله سبحانه من وسائل الدعوة إليه ، الموعظة الحسنة .

ويقول تعالى عن القرآن الكريم :

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

ويقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٣)

ويقول تعالى :

﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَظْمِكَ بِهِ ﴾ (٤)

فالقرآن الكريم موعظة من الله لعباده ، وهو سبحانه يعظ عباده بالقرآن الكريم .

(١) سورة الحجر ١٢٥

(٢) سورة المائدة ٤٦

(٣) سورة يونس ٥٧

(٤) سورة النقرة : ٢٣١ .

ولقد حثَّ إليه سبحانه على الوعظ ، بل حثَّ على الوعظ حتى
 في الحالات التي لا أمل فيها ، وجعل الوعظ في هذه الحالات معدة
 إليه سبحانه ، وإنه يقول

﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی
 رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١)

وقد وعظ القرآن القصص ، وتضمن القصص القرآني الكثير من
 أسواع ، وبيّن الكوارث التي حافت بالأمم التي لم تستجب للموعظة
 في تصحيح العقيدة ، أو التي لم تستجب للموعظة في التزام مكارم
 الأخلاق .

لقد أغرق الله قوم نوح لشركهم

ودمر قوم لوط لشذوذهم .

وحسب بقارون لرجه

وأباد قوم شعيب لأنهم طغروا ، وكيل والميزان ويحسبوا الناس

حقوقهم .

ويقول سبحانه عن القصص القرآني :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

الْقُرْآنَ ﴾ (٢)

وأحسن القصص هو القصص الملقى بحكمة والعظة والعبر .

ولكن القرآن وعظ أيضاً ، بالأسلوب المباشر ، وهو عظة في هذه

المحال كثيرة مستمبضة

(٢) سورة يوسف ٣

(١) سورة الاعراف ١٦٤

إن القرآن موعظة .

والموعظة قسم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو جزء من الجهاد في سبيل الله . .

ومن أجل ذلك اهتم الصوفي به ، فكذبوا وعظّموا رُسلهم ، وكذبوا وعظّموا سمعهم ، وكانوا وعظّموا سلوكهم ، وكانت حياتهم وعظما وهداية للآخرين .

وقد استلزم ذلك في ما يتعلق بالموعظة ، وكانت له مواعظ بلغت في السموّ حداً بعيداً ، وفيما يأتي بعض مواعظه :

« مَنْ نَظَرَ فِي عَيْوَبِ النَّاسِ غَمِيَ عَنْ عَيْوَبِ نَفْسِهِ ، وَمَنْ غَنِيَ بِالْفَرْدِوسِ وَالنَّارِ شَغَلَ عَنِ الْقَبِيلِ وَالْقَالِ ، وَمَنْ هَرَبَ مِنَ النَّاسِ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَمَنْ شَكَرَ زَيْدٌ لَهُ » .

وقال :

« حَقِيقَةُ السَّخَاءِ أَلَّا تَلُومَ الْبَخِيلَ فِي مَنَعِهِ إِيَّاكَ يَوْمًا ، لِأَنَّكَ إِنْ لُمْتَهُ وَاشْتَمَعْتَ بِهِ ، فَدَكَ لَوْقُوعٌ مِمَّنْ مَعَكَ هِيَ قَلْبِكَ ، وَبُوْهُ هَازٍ ذَلِكَ عَيْنٌ لَمْ تَشْتَغَلْ بِلُومِهِ » . ثم أنشأ يقول :

كَرِيْمٌ كَصَفْوِ الْمَاءِ لَيْسَ بِبَاخِرٍ بِشَيْءٍ وَلَا مُهْدٍ مَلَامًا لِبَاخِلٍ

وأوصى رجلاً فقال به .

« لَا تَكُنْ خَصْمًا لِنَفْسِكَ عَلَى رَبِّكَ تَسْتَزِيدُ فِي رِزْقِكَ وَجَاهِكَ ، بَلْ كُنْ خَصْمًا لِرَبِّكَ عَلَى نَفْسِكَ فَتَنَهُ لَا يَحْتَمِجُ مَعَهَا عَلَيْهِ .. وَلَا تَلْقَيْنِ أَحَدًا بِعَيْنِ الْأَزْدَرَاءِ وَالصَّغِيرِ - وَبُوْهُ مُشْرَكًا - خَوْفًا مِنْ عَاقِبَتَيْكُمَا : قُلْعُكَ تُسَلِّبُ الْمَعْرِفَةَ وَيُرْزُقُهَا » .

وقال :

« من تقرب إلى الله بما فيه تنف بنفسه ، حفظه عليه » .

وقال

« اصدق سيف الله ، ما وضع على شيء إلا قطعه »

وقال :

« لا تشغلنك عيوب الناس عن عيوب نفسك فلست عليهم ب قريب »

وقال :

« الحسد داء لا يبرأ ، وحسب الحسود من الشر ما يلغاه »

وقال :

« من قنع استراح من أهل زمانه ، واستطال على أقرانه »

وقال :

« يائي زمان تكون الدوبة فيه لأهل الدنيا على أهل الآخرة »

وقال :

« العاقل يعترف بدينه وبحود بما لديه ، ويؤهد فيما عده ، ويكف إذاه ، ويتحمل أذى غيره » .

وقال

« لكثير من باذر بعمله . وسوف يأمله . ويستعد لأجله » .

وقال :

« كيف أفرح بعملى ، وذنوبى مزدحمة ؟ .. أم كيف أفرح بعملى ، وعاقبتى مبهمة ؟ » .

وقال .

« اعز الذى لا ذل فيه سكوتك عن اسقيه .. عطب اسقيه بيده

وهه »

وقال في ختام كلامه يوم :

« ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم . ولعرض على الله امامهم ، وقراءة كتبهم بين ايديهم ، والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار » . . .

ثم قال

« مثلوا هذا في نفوسهم ، وجعلوه نصب أعينهم »

وقال

« قلوب هل اهل الهوى سجور البلاء .. فإذا اراد الله ان يعذب البلاء حبسه في قلوب اهل الهوى ، فيصيح إلى الله بالاستغاثة والخروج من قلوب اهل الهوى »

وقال :

« طُوبَى لِمَنْ تَطَهَّرَ وَلَزِمَ الْبَابَ .. طُوبَى لِمَنْ تَضَمَّرَ لِلْمَسْبِقِ .. طُوبَى لِمَنْ اطاع الله أيام حياته »

وقال

« حق الجيس ن تسره . فإن لم تسره فلا تسره ، ثم يكسب محبة الناس في هذا الزمان إلا رجل حَفَّ المَنُونَة عندهم ، واحسن القول فيهم وأطاب العشرة معهم » .

وقال له رجل : أوصني .

فقال

« بم أوصيك ؟ .. إن كنت ممن قد أيد منه في عم الغيب بصدق البوحده ، فقد سبق لك - من قبل أن تُخلق إلى يومنا هذا - دعاء العبيد والمرسلين والصديقين ، وذلك خير لك من وصيتي لك ، وإن يكن غير ذلك قلن ينفعك الدعاء »

وعن أحمد بن الحسن لزهد، قال :
كن مكتوباً على عكاز ذي النون :

« لا يومك ينساك .. ولا رزقك يعفوك .. ومن يرغب إلى الناس يكره
للناس كالمملوك » .

وقال ذو النون :

« إذا أطلع الخبير على الضمير ، فلم يجد في الضمير غير الخير :
جعل فيه سراجاً عتيراً »
وقال :

« من المحال أن يحسن الظن ولا يحسن منه المن »
وقال :

« كيف أفرح بعصى ، وذئوبي مزدحمة ؟ ! .. أم كيف أفرح بعصى ،
وعاقبتى مبهمة ؟ ! »
وقال :

« ما أخاف عليكم منع الإجابة ، إنما أخاف عليكم منع الدعاء » .
وسأله رجل فقال :

- رحمت الله . . ما الذي أنصب العبد وأضناه ؟
فقال :

« ذكرُ المقام ، وقلة الزاد ، وخوف الحساب » .
وقال أبو عصمة :

كنت عند ذي النون ، وبين يديه فتى حسن يُملى عليه شيئاً ، قال :
فمرت امرأة ذات جمال وحلق ، قال : فحعل لفتى يسارو لنظر
إليها قال : ففطن ذو النون فتوى عني النسي ، وأشأ يقول

دع المصنوعات من ماء وطين واشغل هوب بخور عن

رشد

" من وجد خمس خصال: رجوت به السعادة، وبقى قبل موته بمساعة؛
اسبوء الخلق، وحققه الروح، وغزاره العقل، وصفاه التوحيد وطيب
المولد".

وقال ذو النون

" ان لله خالصة من عباده، ومُحصاة من خلقه، وصفوة من برئته،
صحابوا الدين بأيدانهم، وأرواحهم في المكوت معيقة، وللك نجباء
الله من عباده، وأمناء الله في بلاده، وادعاء إلى معرفته، والوسيلة
إلى ربه.

ميهات .. بغدوا وقاتوا، ووارثهم بطون الأرض وفجأجها .. على
انه لا نخو الأرض من قائم فيها بحجته على خلقه؛ ثلاً تبطر حجج
الله "

ثم قال :

" وأين ؟ .. أولئك قوم حجبهم الله عن عيون خلقه، واخفاهم عن
أفات الدين وفتنها، ألا وهم الذين قطعوا أودنه اشكوت بأسقن،
واستعانوا على اعمال الفرائض بالعلم، وهربوا من وحشة الغفلة،
ونسربلوا بالعلم لأنعاء الجهالة، واحتجزوا عن الغفلة بخوف الوعيد،
وجدوا في صدق الاعمال لإدراك القوت، وخبوا من مطامع الكذب
ومعانقة الهوى، وقطعوا غرى الارتياح بروح اليقين، وجاوزوا ظلم
الدجى، ووحضوا حجج المبتدعين باتباع السنن، وبأدروا إلى الانتقال

عن المكروه قبح قنات الإمكان ، وسارعوا فى الإحسان نعويضاً عن
 الإساءة ، ولافوا النعم بالشكر ، استجلاباً لمزيد ، وجعوه نُصَب
 أعينهم عند خواطر الهم وحركات الحوارح ، من زينة الدنيا وغرورها ،
 فرَّهَدوا فيها عياناً ، وأكلوا منها قصداً ، وقدموا فضلاً وأحرزوا ذكراً ،
 وتزوَّدوا منها بالقوى ، وشمروا فى طلب النعيم بالسير الحديث ،
 والأعمال الرُكِيَّة ، وهم يظنون .. بل لا يشكُّون أنهم مقصِّرون ، وذلك
 أنهم عقلوا فعرفوا ، ثم اتَّقوا ، وتفكَّروا فاعتبروا ؛ حتى أبصروا ،
 فامسكوا ألسنتهم عن الكلام من غير عيِّ خوفاً من اتَّزَيْن فيسقطوا من
 عين الله ، فامسكوا مع عقول صحيحة ، وبقين ثابت ، وقلوب شاكِرة ،
 وألسن ذاكِرة ، وأيدن صابرة ، وجوارح مطيعة .

اهل صدق ونصح ، وسلامة وصبر ، وتوكل ورضا وإيمان .

عقلوا عن الله أمره ، فتسغلوا الجوارح فيما أُمروا به من طاعة وذكر
 وحياء وقطعوا الدنيا بالصبر على نروم الحق ، وهدرو الهوى بدلالات
 العقول ، وتمسَّكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن ، ولهم فى كل إشارة
 منها دمة ولدقة ، وفكرة وعبرة ، ولهم مقام على المزيد للزيادة ، فرحمة
 الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين "

قال : وسمعت ذا الشون يقول

« إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فى المعرفة مُدْعِيًا ، وتكون بالزهد محترفاً ، وتكون

بالعبادة معلقاً »

فَقِيلَ لَهُ : بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ ، فَسَّرْنَا ذَلِكَ .

حقاً .

« اما علمت أنك إذا اشرفت في المعرفة إلى نفسك بأشياء و أنت مُعرى
من حقائقها كذب مدّعيًا ، وإذا كنت في الرمد موصوفًا بحالة وبت دون
الأحوال كنت محترفاً ، وإذا علّقت بالعبادة قلبك وظننت أنك تنجو من
الله بالعبادة ، لا بالله ، كنت بالعبادة متعلقاً لا بولائها والمُنّ عنك »

وعن الششأطى ، قال : سمعت ذا المون يقول

« اوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام -

يا موسى ، كن كالطير الوحيدى يأكل من رءوس الأشجار ، ويشرب
من الماء الفراح ، إذا جئته الليل أوى إلى كهف من الكهوف ، استئناس
بى ، وستباحشاً ممن عصاتى .

يا موسى ، لا قطعنّ من كل مؤمل يؤمل فى غيرى ، ولا قصمن طهر
من يسند إلى سواى ، ولا طيلنّ وحشة من اسناس بغيرى ، ولأعرضن
عن أحب حبيباً سواى .

يا موسى إنّ لى عبادة إنّ ذجونى أصغيت إليهم ، وإنّ نادونى
أقلت عليهم ، وإنّ أقبوا على أدبتهم ، وإنّ دبوا منى قربتهم ، وإن
تعرّبوا منى اكتففتهم ، وإنّ والونى واليتهم ، وإنّ صافونى صافيتهم ،
وإنّ عملوا لى جازيتهم .

هم فى حماى ، وبى يفنخرون ، وأنا مدبرّ امورهم ، وأنا ساس
قلوبهم ، وأنا متولّ احوالهم ، لم أجعل فى قلوبهم راحة فى شىء إلا فى
ذكرى ، فذكرى لأسقامهم شفاء ، وعلى قلوبهم ضياء ، لا يسناسون
لا بى ، ولا يحطون رحال قلوبهم الا عندى ، ولا يستقر قرارهم فى
لابواء إلا إلىّ » .

ثم قال ذو النون :

« هُمْ - يا أخى - قوم قد ذُوبَ الحزن اكبيادهم ، وأُنْحَلَ اخْوَافُ
نَجْسِهم ، وَغَيَّرَ السَّهْرُ ألوانهم ، واظْلَقَ خَوْفُ الْبِعْثِ قُلُوبهم ... قد
سَكَنْتُ أسرارهم إليه ، وتَدَلَّتْ قُلُوبهم عليه ، فنفوسهم عن الطاعة لا
نَسَلُّو ، وهوبهم عن ذكره لا نَخْلُو ، وأسرارهم هي المكوت تعلو .

اخشوع يخشع لهم إذا سكنوا ، وادموع تخبر عن خفى حرقهم
إذا كمدوا ، قد بسوا مرح الشهوات بحلاوة المناحاة ، فليس للغفلة
عليهم مدخرٌ . ولا يلهو فيهم مَطْمَعٌ . قد حجب البوقيق بينهم وبين
الآفات ، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات ، فب طوبى للعارفين ،
ما اغنى عيشهم ، وما الذ شربهم ، وما أحل حبيبهم ١

وقال ذو النون :

« إن له خالصة من عباده ، ونجباء من خلقه ، وصفوة من بريته ،
صحبوا الدنيا بأبدانهم ، وأرواحهم في المكوت معتقة .. أولئك نجباء
الله من عباده ، وأمناء الله في بلاده ، والدعاة إلى معرفته ، والوسيلة
إلى دينه .

هيهات .. بعدوا وفاتوا ، ووارثهم بطون الأرض وفجأها .. على
أنه لا تخلو لأرض من قائم فيها بحجته على خلقه ؛ لئلا تبطل حجج
الله » .

ثم قال

« وأين ؟! .. أولئك قوم حبيبهم الله عن عيون خلقه ، وأخفاهم عن
آفات الدنيا وفننها ، ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين ،
واستعانوا على أعمال العرائض بالعلم ، وهرموا من وحشة الغفلة ،

وتسربلوا بالعلم لاثقاء الجهالة، واحجزوا عن الغفلة بحوف الوعيد،
 وحدوا في صدق الأعمال لإدراك القوت، وخلوا عن مطامع الكذب
 ومعانقة الهوى، وقطعوا عرى الارتباب بروح ايقين، وجاوزوا ظلم
 الدجى، ودحضوا حجج المبتدعين باباع السنن، وبادروا إلى الانتقال
 عن المكروء قبل فسوت الإمكان، وسارعوا في الإحسان: نهوياً عن
 الإساءة، ولاقوا لنعم بالشكر: استجلاباً لمزيدة، وجعوه نَصَب
 أعينهم عند خواطر الهمم وحركات الجوارح من زينة الدنيا وغرورها،
 فزهدوا فيها عياناً، واكلوا منها قصداً، وقدموا فضلاً وأحرزوا ذخراً،
 وتزودوا منها بالنقوى، وشتمروا في طلب السعي بالسر الحثيث،
 والأعمال الزكية، وهم يظنون.. بل لا يشكّون أنهم مقصرون، وذلك
 أنهم عقلوا فعرفوا، ثم انغوا وتفكروا، فاعتبروا، حتى ابصروا،
 فأمسكوا السننهم عن الكلام من غير عي خوفاً من التزيّن فيسقطوا من
 عين الله، فأمسكوا مع عقول صحيحة، وبقين ثابت، وقلوب شكرة،
 وألسن ذاكرة، وابدان صابرة، وجوارح مطيعة

أهل صدق ونصح، وسلامة وصبر، وتوكل ورضاً وإيمان.

عقلوا عن الله أمره فشعبوا الجوارح فيما أمروا به من طاعه وذكر
 وحياء، وقطعوا الدنيا بالصبر على بزوم الحق، وهجرو الهوى
 بدلالات العقور، وتمسكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن، ولهم في كل
 إشارة منها دعة وبذة، وفكرة وعبرة، ولهم مقام على المزيد للزيادة،
 فرحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين» .

وقل ذو النون،

« معاشرة العارف كمعاشرة الله: يحتل عنك، ويحلّ عليك، تحلّقاً

بأخلاق الله الجميلة » .

وقال :

« أهل الذمّة يُحملون على الحال المحمودة والمباح من الفعر ، فما الفرق بين الذمّي والحنيفي ؟ » الحنيفي أولى بالحلم والبصْفح والاحتمال . »

وعن غيلان المذكر ، قال :

« أخبرني ذو النون أن الناس على ثلاثة مقامات في الدنيا :

* قوم اشتغلوا بمعادهم عن معاشهم .

* وقوم اشتغلوا بمعاشهم ومعادهم .

* وقوم اشتغلوا بمعاشهم عن معادهم

- فأما من اشتغل بمعاشه عن معاده فمقامه مقام الهالكين .

- وأما من اشتغل بهما فمقامه مقدم المخلصين .

- وأما من اشتغل بمعاده عن معاشه فهو من العارفين . »

وعن يوسف بن الحسين ، قال ، سمعت ذا النون يقول :

« لله عباد تركوا الذنب استحياء من كرمه ، بعد أن تركوه خوفاً من عقوبته ، ولو قال لك ، اعمل ما شئت فلست أخذك بذنب كان ينبغي أن يزيدك كرمه استحياء منه ، وتركاً لمعصيته ، إن كنت حراً كريماً عبداً شكوراً ، فكيف وقد حذرَكَ ؟ ! »

وعن سليم بن موسى ، قال : قال ذو النون :

« إن حقوق الله أثقل من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العدد ، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين »

وقال ذو النون :

« الدنيا دُبيّة، وحبها خطيئة . والدُّنُوُّ منها بليّة .. الدنيا يكفى صِفُها
مَنْ وَصَفَها ، وإِتما يُعتَبَرُ بها مَنْ عَرَفَها .. مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا سَبَقَتْهُ ، وَمَنْ
هَرَبَ مِنْهَا لَحِقَتْهُ ، وَمَنْ عَصَى الدُّنْيَا أَطَاعَتْهُ ، وَمَنْ أَطَاعَهَا عَصَتْهُ ..
الدُّنْيَا فَاعِلَةٌ بِكَ مَا فَعَلْتَ بِأَخِيكَ ، وَزَائِلَةٌ عَنْكَ كَمَا زَالَتْ عَنْ أَخِيكَ » .
وقال يوسف .

قَتَ لَذَى النُّونِ فِي وَقْتِ مَهَارَفَتِي لَهُ .

مَنْ أَجَالِسُ ؟

قُلْ

« عَلِيكَ بِصَحْبَةِ مَنْ تُذَكِّرُكَ بِإِلَهِ رُؤْيَيْهِ . وَتَقَعُ هَيْبَتُهُ عَلَى بَاطِنِكَ ..
وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكَ مَنَاطِقَهُ . وَيَزْهَدُكَ فِي الدُّنْيَا عَمَلُهُ .. وَلَا يَعْصِي اللَّهَ
مَا دَمَتِ فِي قُرْبِهِ يَعْظُكَ بِسَانَ فَعَلِهِ وَلَا يَعْظُكَ بِلِسَانِ قَوْلِهِ »

* * *

الحكيم

لقد تحدث القرآن الكريم عن الحكمة ، وبين سبحانه أنه .

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ ۱﴾

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ ۲﴾

ولقد أتى الله الحكمة داود عليه السلام

﴿ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ۚ ۳﴾

وأتى الله الحكمة ال إبراهيم . .

وأتى به سبحانه محمدا ﷺ حكمة ، وجعل شجر رسالته
تعليم احكمة .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَتُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ۝ (٤)﴾

ولقد ذكر الله سبحانه ثملة بالحكمة ، منها بعض ما أوحاه الله
إلى محمد ﷺ ، وقال في نهايته

﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۝ (٥)﴾

(٣) سورة ص : ٢٥١

(٥) سورة الأسراء : ٣٩

(١) سورة البقرة : ٢٦٩

(٢) سورة النحل : ١٦٤

إنه سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُنْفَخُ عَنْكَ
الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّجْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا ۖ (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْنِي صَغِيرًا ۖ (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ
كَانَ لِلَّهِ عِزٌّ عَظِيمًا ۖ (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا
تَبْذُرْ تَبَذُّرًا ۖ (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا ۖ (٢٧) وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ۖ (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
فَتَقْعَدَ مَلَامًا مَّحْضُورًا ۖ (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۖ (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ إِن قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا ۖ (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً
وَمَاءً مَّيْلًا ۖ (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا
فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۖ (٣٣) وَلَا
تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۖ (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُم وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۖ (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا ۖ (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ

مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تُلْغِيَ الْجِبَالَ مِثْلًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ
عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩) ﴿١﴾

ومسها - كمشال - بعض ما آتاه لقمان قائلاً ،

﴿ وَآقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٢)

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ ﴾ (٣)

﴿ وَرَضِينَا لِلْإِنْسَانِ إِذْ أَلَدَ بِهِ حِمْلَهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ
أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٤)

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥)

(١) سورة لقمان (١-٣) ٣٩ ٣٨ ٣٧

(٢) سورة لقمان ١٢

(٣) سورة لقمان ١٣

(٤) سورة لقمان ١٤

(٥) سورة لقمان ١٥

﴿ يَا بَنِي إِثْنَاهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)

﴿ يَا بَنِي آدَمُ اقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢)

﴿ وَلَا تُصَغِّرْ خَلْقَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (٣)

وإذا إذا تروينا فيما ذكره الله سبحانه من الحكمة؛ وجدنا أنها مبدئية في العقيدة أصنى ما تكون عقيدة، ومبدئية في الأخلاق أكرم ما تكون الأخلاق

تتضمن الحكمة - إذن - الصدق عقيدة وأخلاقاً، وأن كل ما يساير الدين الصحيح في العقيدة والأخلاق هو من الحكمة

وكيف ستعرق الإنسان في الحوائط القروية وفي حيز السلوكي للرسول ﷺ . ثم تحدث في العقائد وفي الأخلاق مستمد من القرآن والسنة ومترماً لأنوارهما، فإنه ينطق في إصار الحكمة والتصوفية لما لهم من صحة طوية للقرآن، واقتداء مستمر برسول

(١) سورة بقره ١٦

(٢) سورة بقره ١٧

(٣) سورة لقمان ١٨ ، ١٩

سَمِعْتُمْ ، وَلَمْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورٍ لَمُرَادٍ وَهَدًى سَبِيلَهُ ، فَإِنْ كَلِمَاتِهِمْ
تَبْتَدِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْوُجُوهِ أَحْكَمَةً
وَمَذَكَّرَ لَذَى السُّوءِ مَا يَأْتِي
قَالَ ذُو السُّوءِ قَالَ الْحَسَنُ ،

« مَا خَافَ عَلَيْكُمْ مَنَعَ الْإِجَابَةَ ، وَإِنَّمَا خَافَ عَلَيْكُمْ مَنَعَ الدَّعَاءَ » .
وَقَالَ ذُو النُّورِ :

« بَيْسَ بِعَاقِلٍ مَنْ لَمْ يُتَّصِفْ مِنْ نَفْسِهِ وَطَلَبَ الْإِتِّصَافَ مِنَ النَّاسِ » .
قَالَ :

« كُلُّ مُطِيعٍ مُسَبَّاسٍ ، وَكُلُّ عَاصٍ مُسْوَحَّشٍ ، وَكُلُّ مُحِبٍّ مُلِيلٌ ، وَكُلُّ
خَائِفٍ هَارِبٌ ، وَكُلُّ رَاجٍ طَلِبٌ »

وَسُئِلَ ذُو النُّورِ : مَا سَبَبُ الذَّنْبِ ؟
قَالَ :

« أَعْمَلُ - وَيُحْكُ - مَا تَقُولُ ، فَإِنَّهَا مِنْ مَسَائِلِ الصَّدِيقِينَ .. سَبَبُ الذَّنْبِ
الْنَظَرَةُ ، وَمِنْ النَظَرَةِ الْخَطَرَةُ . فَإِنْ تَدَارَكَتِ الْخَطَرَةُ بِإِرْجَوعٍ إِلَى اللَّهِ :
تَهَبَتْ . وَإِنْ لَمْ تَدَارِكْهَا امْتَرَجَتْ بِأَنُوسَاوَسٍ ، فَتَتَوَلَّدُ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ..
وَكُلُّ ذَلِكَ - بَعْدَ ذَلِكَ - بَاطِنٌ لَمْ يَضْهَرْ عَلَى الْجَوَارِحِ .. فَإِنْ تَدَارَكَتِ
الشَّهْوَةُ : وَإِلَّا تَوَلَّدَ مِنْهَا ابْطَلَبُ . فَإِنْ تَدَارَكَتِ الطَّلِبُ : وَإِلَّا تَوَلَّدَ مِنْهُ
الْفِعْلُ »

قَالَ :

« مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الدُّنْيَا كُلِّهَا لَمْ يَكُنْ لِلدُّنْيَا عِنْدَهُ قَدْرٌ » .
وَقَالَ :

« لَمْ يَرِلْ الْمَاهِقُونَ نَسْخَرُونَ بِالْفُقَرَاءِ فِي كُلِّ عَصْرِ »

وقال سعيد بن الحكم :
سئل ذو النون . مَنْ أدومُ الناسُ عناءً ؟
قال :

« انسواؤهم خلقاً »
قيل : وما علامة سوء الخلق ؟
قال :

« كثرة الخلاف »
قال : وسمعت ذا النون يقول :
سئل جعفر بن محمد عن السفينة ، فقال
« مَنْ لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه » .
وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول
« مَنْ تزين بعمله كانت حسناته سيئات »
قال : وسمعت ذا النون يقول :

« ادنى منزل الأنس أن يُلْقَى في النار فلا يغيب همُّه عن ماله »
وقال نصر بن أبي نصر : قال ذو النون :
« الخوف رقيب العمل ، والرحاء شفيع المحزن »
وسئل ذو النون ما أخفى الحجاب وأشدُّه ؟
قال :

« رؤية النفس وتدبيرها »
وقال إسحاق بن إبراهيم الخواص : سمعت ذا النون يقول .

« من أدرك طريق الآخرة . فليكثر مساءلة الحكماء ومشاورتهم ..
وليكن أول شيء يسأل عنه : العقل .. لأن جميع الأشياء لا تدرك إلا
بالعقل .. ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لم تخدم ؟ ثم اخدم »
وقال ذو النون

« حرم الله الزيادة في الذوق ، والإلهام في القلب . والعراصة في
الخلق . على ثلاثه مفر : على بخيل بدنياء ، سخي بدينه ، سني الخلق مع
الله »

مقال له رجل . صف لذ سني الخلق مع الله .
فقال .

« يقضي الله تعالى قضاء ، ويمضي قدرًا . وينفذ علما ، ويختار لعبده
أمرًا . فتري صاحب سوء الخلق مع الله مضطرب القلب في ذلك كله ،
غير راض به ، وإنما شكواه من الله إلى خلقه . فما طنك ؟ »
وقال ذو النون :

« مفتاح العبدية الفكرة ، وعلامة الهوى منابعة الشهوات ، وعلامة
التوكل انقطاع المطامع » .

وقيل لدى النون : متى يأس العبد بربه ؟
قال :

« إذا خافه أئس به ، وإنما عمت له من واصل استنوب نحى عن باب
المحبوب » .

وقال :

« من غص عن عيوب نفسه : انكشفت له عيوب الناس ! فمقتنه
الغلوب » .

وقال :

« ما أعزَّ الله عبداً يعزُّ هو أعزُّ به من أن يديه على دل نفسه، وما أدلَّ الله عبداً بذلُّ هو أدلُّ له من أن يحجبه عن ذلِّ نفسه »
وقال :

« ليس بعاقِل من تعلَّم العلم فعرَف به ، ثم أتر - بعد ذلك - هواد على عمله .. وليس بعاقِل من طبَّ الإنصافَ من غيرِه لنفسه ، ولم يصف من نفسه غيرَه .. وليس بعاقِل من نَسى الله في طاعنه ، وذكر الله تعالى في مواضع الحاجة إليه »

وقال :

« من وثق بالمقادير استراح ، ومن تعزَّب قُرباً ، ومن صفا صفى به » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« انت ملكٌ مقدير ، وأنا عبدٌ مفتقر .. سالك العفو تدلياً ، فاعطنيه تفضلاً »

وقال ذو النون :

« كيف أفرح بعملى ، وذنوبى مزدحمة ؟ .. م كيف أفرح بأملى ، وعاقبتى مبهمة ؟ ! » .

وقال :

« قد غلب القلوبُ عنه وهو مُنشئها ، وأدبرت النفوسُ عنه وهو يناديها : فسبحانه . ما مهلةٌ لآلام مع بوائير الآلاء والإععام ؟ ! »

وقال :

« طُوبى لعمد اتصف به ، أقرُّ له بالآفات فى طاعنه ، وبالجَهل فى معصيته فإن خذه بالذنوب رأى عدله ، وإن عفر رأى فضله »

عن محمد بن أحمد بن سلمة نيسابوري ، قال :
سمعت ذا النون يقول :

« يا حراسائي ، احذروا ان ينقطع عنه فتكور مخدوعا » .
قلت : وكيف ذلك ؟
قال :

« لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه ، فيقطع عن انظر إليه بالانظر
إلى عطاياه » .
ثم قال :

« يعلق الناس بالاسباب ، ويعلق الصديقون بولي الاسباب »
ثم قال :

« علامة تعلق قلوبهم بالعطاياء طلبهم منه العطايا ، ومن علامة
تعلق قلب الصديق بولي العطايا - انصباب العطايا عليه وشغله عنها
بها »
ثم قال :

« ليكن اعتمادك على الله في الحال ، لا على الحال مع الله »
ثم قال :

« اعمل ، فإن هذ من صفوة التوحيد » .
وقال :

« من اعلام الإيمان : اعتماد القلب بعصائب المسلمين ، وإرشادهم إلى
ما فيه مصالحهم ونكرهه »
وكب يقول :

« إن الله - تعالى - أنصق اللسان بالبيان ، واقتحبه بالكلام ، وجعل

القلوب أوعيةٌ للعلم .. ولولا ذلك كان الإنسان بمنزلة البهيمة : يُومئ
بأرأس وبشعر باليد » .

وقال :

« من راقب انعواقب سلم »

وقال

« من علامة سخط الله تعالى على العبد خَوْفُهُ من الفقر »

وقال :

« من نظر في عيوب الناس عمى عن عيب نفسه »

وقال :

« صدور الأحرار قبور الأسرار » .

وقال :

« إنما أحب الناس الدنيا لأنه تعالى جعلها خزانة أرزاقهم : فصدوا
اعينهم إليها » .

وسئل ذو النون ما الذي أنصب العباد وأصدهم ؟

قال

« ذكرُ المقام ، وقلةُ الزاد ، وخوفُ الحساب » .

وقال

« المصنَّع يُبدى غير الذى هو به . والصادق لا يبدى على أى

جنب وقع » .

وقال :

« ما هلك من هلك إلا بطلبِ أمرٍ قد أخفاه أو إنكارِ أمرٍ قد أبداه »

وقال :

« الأيسر بالله نورٌ ساطع ، والأيسر بناس غمٌّ واقع » .

فقيل له : ما الأنس بالله ؟

قال .

« العلم والقرآن »

وكان عليه السلام يقول :

« إن الله - تعالى - لم يمنع أعداءه الجنة بخلًا .. وإنما صان أوليائه
الذين أطعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه » .

وقال :

« مفتاح العبادَةِ العِزَّةُ ، وعلامة الإصَابَةِ مخالفةُ النفسِ والهوى »

وكان عليه السلام يقول :

« تواضعُ لجميعِ خلقِ الله تعالى - وإيّاك أن تتواضعَ لمن يسألك
أن تتواضعَ به : فإن سؤاله إِيّاكَ يدل على تكبره في الباطن ..
وتواضعك به يكون له عونًا على التكبر »

وقال :

« لا تتواضعَ لمكبرٍ ، فتذل نفسك في غير محلٍّ ، وتكبر نفسك بغير
حق » .

وقال :

« إنما يُحتَبَرُ ذو البأس عند البلاء ، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء ،
وذو الأهل والولد عند الثقة والبلاء ، والإخوان عند نوائب الفصاء » .

وقال :

« لم يكسبَ محبةَ الناس - في هذا الزمان - إلا رجلٌ خَفَفَ المثوثةَ
عليهم ، واحسنَ القولَ فيهم ، وأطابَ العشرةَ معهم » .

وقال :

« مِنْ عِلَامَةِ سَخَطِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَخَافَ الْفَقْرَ »
وَمَنْ حَكَمَهُ

لَبِسْتُ بِالْفَقْرِ تَوْبَ الْغِنَى فَصِرْتُ أَمْشِي سَنَامَ الرَّاسِ

وقال :

« لَا تَسْكُنِ الْحِكْمَةُ مَعْدَةً مَلَأَتْ بِالطَّعَامِ »

وقال :

« الْكَرِيمُ يَعْطِي قَبْلَ لِسْوَالِ فَكَيْفَ يَبْخُلُ بَعْدَهُ ، وَبَعْدُ قَبْلِ الْإِعْتِزَالِ
فَكَيْفَ لَا يَعْذِرُ بَعْدَهُ ؟ »

وقال :

« مَنْ الْمَخَالِ أَنْ يَحْسُرَ الطَّنُّ وَلَا يَحْسُرَ مَدَّةُ الْمَنِّ »
وقال .

« مِنَ الْقُلُوبِ قُلُوبٌ تَسْتَغْفِرُ قُلَّ أَنْ تَذُنِبَ : فَنَتَابَ عَلَيْهَا قَبْلُ أَنْ
تَتُوبَ » .

وقال :

« سِنَاتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الدَّوْلَةُ فِيهِ لِلْحَمَقَى عَلَى الْأَكْيَاسِ »
قال أبو نعيم :

وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَعَنَّى عَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - لِأَمَانِي ،
وَالْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ بِهَا بَعْدَ الْمَوْتِ

وقال :

« إِذَا صَحَّ الْيَقِينُ فِي الْقَلْبِ صَحَّ الْخَوْفُ هَبْه »

وقال :

« أكثرُ الناسِ إشارةً إلى الله في الظاهر : أبعدُهم من الله .. وأرغبُ الناس في الدنيا وأخفاهم لها طلباً . أكثرُهم ذمّاً لها عند طلائها »
وقال .

« الاستئناسُ بالناس من علامة الإفلاس »

وقال :

« من عرف ربه وجد طعم العبودية ولذة لذكر والطاعة ، فهو بين
اخْلُقَ بعبده ، وقد ثاءَ عنهم ياهموم والخطرات » .
وسأل رجل ذا لون من أصحاب من الناس ؟
قال :

« من سقطَ بينك وبينه صورةُ التحفُّظ ، ومن إذا اذنب تاب . وإذا
مرضت عبادك . ومن يعلم منك بعض ما يعلمه الله منك ، فتأمنه على
ذلك ويستتره عليك » .

وسئل يوماً فيم يحد العبد اخلاص ؟

قال

« الخلاص في الإخلاص ، فإذا أخلص نخلص »

فقيل : فما علامة الإخلاص ؟

قال .

« إذا لم يكن في عملك صفةُ المخلوقين . ولا محافةُ ذمهم ؛ فأنت
مخلص إن شاء الله تعالى » .

وقال ذو النون :

« إن سكنتَ علمَ ما تريد، وإن نطقتَ لم تزل بمنطقك ما لا يُريد، وعلمُك
بمرادك ينبغي أن يغنيك عن مسألتك ، أو ينحكك عن مطالبتك » .

وقال :

« إن الطبيعة النقية هي التي تكفيها من العظمة رثتها ومن الحكمة
إشارة إليها » .

وقال :

« أكثر الناس همًا أسوأهم خلقًا » .

وسئل ذو النون من أدرمُ لباسِ عبء ؟

قال :

« أسوأهم خلقًا » .

قيل : وما علامة سوء الخلق ؟

قال :

« كثرة الخلاف » .

وقال ذو النون :

« دارت رَحَى الإرادة على ثلاث :

على الثقة بوعْد الله ، وارضاه ، ودوام قُرْع باب الله »

وقال :

« حقُّ الجليس أن تسرَّه ، فإن لم تسرَّه فلا تسوِّد »

وقال .

« بصحبة الصالحين تطيب الحياة .. والخير مجموع في القرين
الصالح : إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانتك »
وكان يقول :

« كنا إذا سمعنا شأنا يتكلم بالمجلس أيسفاً من حيره »
وقال :

« أعلم أن أعمال الجوارح يصدقها عقد ضمائر الغيوب ..
وقد قال رسول الله ﷺ :

« في ابن آدم مضغة إن صلحت صلح سائر الجسم وهي القلب »
وقال ﷺ :

« لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه . ولا يستقيم لسانه حتى
يستقيم قلبه »

وقال ذو النون سمعت عبداً يقول .

« إن لله عبداً أبصروا فنظروا ، فلما نظروا عقلوا ، فيما عقلوا علموا .
فلما علموا عملوا ، فيما عملوا انتفعوا ، رفع الحجاب فيما بينهم وبينه .
فنظروا بأبصار قلوبهم إلى ما نذر لهم من خفي محجوب الغيوب
فقطعوا كل محجوب ، وكان هو المنى والمطلوب »

وقيل لذي النون :

« ما علامة الأنس بالله ؟ »

قال

« إذا رأيت أنه يوحشك من خلقه فإنه يؤنسك بنفسه ، وإذا رأيت أنه
يؤنسك بخلقه فاعلم أنه يوحشك من نفسه »

ثم قال :

« الدنيا لله أمة ، والخلق لله عبيد : خَلَقَهُم لِلطَّاعَةِ ، وَضَمَنَ لَهُم
أَرْزَاقَهُمْ ، فَحَرَصُوا عَلَى أَمَتِهِ وَقَدْ نَهَاَهُمْ عَنْهَا ، وَطَلَبُوا الْأَرْزَاقَ وَقَدْ
ضَمَنَهَا لَهُمْ ، فَلَا هُمْ عَلَى أَمَتِهِ قَدَرُوا ، وَلَا هُمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ اسْتَزَادُوا » .
وقال ذو النون :

« الْمُسْتَأْنَسُ يَا لَلَّهِ فِي وَقْتِ اسْتِنَاسِهِ . يَسْتَأْنَسُ بِجَمِيعِ مَا يَرَى
وَيَسْمَعُ وَيَحْسُ بِهِ فِي مَلَكُوتِ رَبِّهِ . وَالْهَائِبُ لَهُ : يَهَابُ جَمِيعَ مَا يَرَى
وَيَسْمَعُ وَيَحْسُ بِهِ فِي مَلَكُوتِ رَبِّهِ . . وَيَسْتَأْنَسُ بِالذَّرِّ فَمَا دُونَهُ
وِيَهَابِهِ » .

وقال :

« مَنْ أُنْسَهُ اللَّهُ بِقُرْبِهِ أَعْطَاهُ الْعِلْمَ بِغَيْرِ تَعَبٍ » .
وعن أبي عثمان سعيد بن الحكم السلمي ، قال :
سمعت ذا النون يقول :

« مَنْ رَسَخَتْ عَظَمَةُ اللَّهِ فِي صَدْرِهِ وَجَدَ لِعِبَادَتِهِ طَعْمًا حَلْوًا » .
وقال :

« مِنْ دَلَائِلِ أَهْلِ الْمَحِيَةِ يَا لَلَّهِ أَلَّا يَافِسُوا بِسُوءِ اللَّهِ ، وَلَا يَسْتَوْحِشُوا
مَعَ اللَّهِ : لِأَنَّهُ حَبِيبُ اللَّهِ مِنْ أُنْسٍ بِاللَّهِ : لِأَنَّ اللَّهَ أَجَلٌ فِي صُدُورِهِمْ أَنْ
يَحْبُوهُ لَغِيرُهُ » (١) .

قال : وسئل ذو النون : ما فساد القلب ؟
قال :

« فُسَادُ الْقَلْبِ فُسَادُ النِّيَّةِ . إِذَا قَسَدَتِ النِّيَّةُ وَقَعَتِ الْبَلِيَّةُ » .

(١) أخرجه البيهقي

وقال ذو النون :

« إذا لم يكن في عملك حبُّ ثناء المخلوقين ولا مخافة ذمهم : فأنت حكيمٌ مُخلص إن شاء الله » (١) .

وقال :

« مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ اسْتَقْلَلَ كُلَّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ » .

وقال :

« مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَمِ سَلِبَهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ » .
وقبل له : مَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْكُفْرِ ؟

قال

« نَوَاقِثُهُ » .

وقال :

« ما خضع الله على عبد من عبده خلعة أحسن من لعقل ، ولا قلَّده قلادة أجمل من العلم ، ولا ريثه بزيته أفضل من الحلم ، وعَمَالُ ذَلِكَ التَّقْوَى » .

وقال رجل لذي النون : متى أزهد في الدنيا ؟

قال :

« إذا زهدت في نفسك »

وعن يوسف بن الحسين قال :

دخل ذو النون على مريض يعودُه فقرأه يئسُ ، فقال :

(١) أخرجه أبو نعيم

« ليس بصادق في دعواه من لم يصبر على صُرِّه »
فأجاب المريض :

- ليس بصادق في حبه من سم يتلدد بصره .
فقال ذو النون :

« ولا صدق في حبه من رأى حبه لربه » .
وعن يوسف بن الحسين ، قال :
قلت لذى النون : متى أخلط الناس ؟
قال :

« إذا نمحى حب الدنيا من قلبك » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال : سمعت ذا النون يقول :
كتب إلى بعض إخواني وقد اعتن : ادع الله بي ،
فكتب إليه :

« سألتني أن أدعو الله لك أن يريل عنك النقم ، وأعلم يا أخى أن
اعلة منزلة يأنس إليها أهل الصفا والهمم ، ومن لم يعد البلاء نعمة
فليس من الحكمة في شيء ، فاستج من الله أن تشكوه .. والسلام » .
وعن يوسف بن الحسين ، قال ،

سمعت ذا النون يقول :

« إخراج الموجود حسن ظن بالمعيود » .

قال : وسئل ذو النون عن اسم الله الأعظم ، فقال :
هو د ، أنا أقرأه عليكم فتعلمون . فقرأ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴿١﴾

وقرأ

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٢﴾
ثم قال .

« إِذَا قَرَأْتَ بِهَذَا عَلَى مَا تَحِبُّ يَغْفِرُ لَكَ » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« إذا سألني السائل ، وكان مُسْتَحَقًّا لجواب : استفتت نصف الجواب من مسألته » .

وعن أبي عثمان سعيد بن الحكم ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ، ولا صابت الجنان إلا برؤيته » .

وعن محمد بن أحمد بن عبد الله ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« طُوبَى لمن كان شعار قلبه الورع ، ولم يغم بصراً قلبه الطمع ، وكان محاسياً لنفسه فيما صنع » .

وقال :

« لا عيش إلا مع رجال تحن قلوبهم إلى التقوى ، وترتاح إلى الذكر » .

ودق عليه رجل الباب فشوش وقته ، فنظر إليه من عالم الهيئة

وقال .

« اللهم من شغلني عنك فاشغله بك »

وعن عبد الله بن سهل ، قال :

سألت ذا النون فقلت :

- متى أعرف ربي ؟

قال

« إذا كان لك جليسا ، ولم تر لنفسك سِوَاهُ أنيسا » .

قلت : فمتى أحبُّ ربِّي ؟

قال :

« إذا كان ما أسخطه عِندَكَ أمرٌ من الصَّير »

قلت : فمتى أشتاقُ إلى ربِّي ؟

قال :

« إذا جعلت الآخرةَ لك قرارًا ، ولم تُسمِّ الدُّنيا لك مسكنًا ودارًا » اهـ

متناثرات وطرائف

هذه المتناثرات تجمع بعض الأمور المهمة مثل « ثلاثيات ذي النون »
ولقد عني ذو النون بالثلاثيات التي توصلح أمراً من الأمور وتجمع في
كلمات قليلة رواها من موضوع عام .

وقد جمعها . في هذه المتناثرات . بعض ردوده على السؤال
التقليدي . كيف حالك ؟ أو كيف أصبحت ؟ وهي ردود
صريحة لم يلتزم فيها ذو النون الرد التقليدي .
وجمعها . أيضاً . في هذه المتناثرات . بعض ما هو طريف من
مفردات ذي النون .

كان ذو النون يقول في قوله تعالى . ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (١) :

« كأنه الآن في أذني » .

وسئل عن السماع والصوت الحسن ، فقال

« وارد يزج القلب الى الحق ، فعن أصفى إليه بحق تحقق ، او
بنفسه ترندق »

وسئل عن سماع العظة احسنة بالنعمة الطيبة ، فقال

« مزامير أنس في مقاصير قدس ، بالحن نوحيد في رياض تمجيد ،
بمطربات انخواني في تلك المعاصي .. المؤذية بأهلها إلى انعيم الدائم
في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

ثم قال :

« هذا طعمُ الخير ، فكيف طعمُ النظر ؟ » .

قال : وسمعت ذا النون يقول : وقد وقف عليه رجل فسأله شيئاً .

فقال له ذو النون :

« إن المتكفل برزقك غير مُتهم عليك »

وعن إسراقيـل قال : سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال ، فقال

له ذو النون :

« قلبي لك مُقفلٌ ، فإن فُتِحَ لك أجبتك .. وإن لم يُفْتَحْ لك فاعذرني

واللهم تنقّسك » .

وقال

وسئل عن السقطة ، فقال :

« من لا يسألني ما قال ولا عما قيل منه »

وقال :

« إن سؤالي خمسة أشياء خُصّ بها دون الناس :

الوجهُ الحسن ، والخلقُ الحسن ، والقلبُ للرحيم ، والسنانُ لطيف ،

واجتنابُ المحارم » .

وقال :

« إن الله يغفارُ أن يجمع بين أحبابه وأعدائه في دار . فلذلك جعل

لكل فريقِ داراً » .

وعن يوسف بن الحسين الرازي ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« اعلّموا أن المحب لله لا يعظم عنده الإيثار ، لأنه ليس شيء أعظم عنده من الله ، فيتبعني أن يرى عليه أثر ذلك من رفض الدني . لأنه من المحار أن يجتمع في القلب حب الدنيا وحب لله ، لأن من أحب الله لم ينظر إلى غيره » .

وقال :

« طوبى لمن تطهر ولزم الباب .. طوبى لمن قضمّر للسباق .. طوبى لمن أطاع الله أيام حياته » .

وقال :

« من وثق بالمقادير اسقراح »

وزوى محمد بن عبد الملك بن هاشم ، قال .

« سئل ذو النور ما لا يشوى على النوازل »

قال :

« لأنكم لا تصحّون الفرائض » .

وقيل : من أدوم الناس قنباً ؟

قال :

« من أحب دنياه فنتية » .

وقال ذو النور :

« إلهي .. لو أصبت مؤثلاً - في الشدائد - غيرك ، أو ملجأ - في

المنازل - سواك ، لحق لي الأعرض إليه بوجهي عنك ، ولا اختاره

عليك - نعيم إحسانك إليّ وحديثه - وظاهر منّيّك عليّ وباصنها ، ولو

تقطعت في البلاء أرباً إرباً ، وانصبت عليّ الشدائد صباً صباً ،

ولا أجد فسكني غيرك ، ولا مفرجاً لما بي عني سواك .

فيا وارث الأرض ومن عليها ، ويا باعث جميع من فيها ، ورثت أملى
فيك منى أملى ، وبلغ همى فيك منتهى وسائلى .

وقال :

« اطلب الحاجة بلسان الفقير ، لا بلسان الحكيم » .

وقال :

« استج من الله أن تسأله ما تحب وأن تأتي ما يكره » .

وقال :

« إن سرورك بالمعصية إذا ظفرت بها أشد من المعصية » .

وعن محمد بن عبد الله بن ميسون قال : سمعت ذا النون يقول -
وقد حاءه رجل يسأله أن يدعو له - فقال :

« إن كنت أدت بصدق التوحيد فى الغيب ، فكف من دعوات سبقت
لك ، وإن كان غير ذلك فأى دعاء ينفعك ؟ »

ويروى يوسف بن الحسين قائلًا :

بلغنى أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم فخرجت من مكة قاصداً
إليه حتى وافيته فى جيزة مصر .

ومكث يوسف بن الحسين يخدم ذا النون سنة ، ثم قال له :

يا أستاذ ، أنا رجل غريب ، وقد اشتقت إلى أهلى ، وقد خدمتك
سنة ، وقد وجب حقى عليك ، وقيل لى إنك تعرف اسم الله الأعظم
.. وقد جربتنى وعرفت أنى أهل بدلك ، فإذن كنت تعرفه فعلمنى
إياه .

قال : فسكت ذو النون عنى ولم يحبى شىء وأوهمنى أنه لعله
يقول لى ويعلمنى ، ثم سكب عى ستة أشهر ، فلم كان بعد ستة
أشهر . من يوم مسألتي إياه . قال لى :

« يا أبا يعقوب .. لست تعرف (فلاناً) - صديقنا - بالفسطاط .
انذى يجيئنا ؟ » . . . وسمى رجلاً

فقلب . بلى

قال : فأحرح إلى من بيته طبقاً فوفه مكته مشدوداً تسيل . فقال
لى :

« أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط »

قال : فأخذت طبقاً لأؤديه ، فإذا طبق خفيف يدل على أن ليس
بى حوفة شىء . . . فلما بدعت الحسر - الذى بين الفسطاط واجيزة -
فت فى مسمى ذو النون بيعت إلى رجل بهدية ، وها أنا أرى طبقاً
خفيفاً . . . لأبصرن أى شىء فيه .

قال : فحللت المندب ، ورفعت المكبة ، فإذا فارة قد قفرت من
الطبق غمرت

قال : فاعتصب ، وقت : إنما سخرى ذو النون ، ولم يذهب
وهمى إلى ما أراد فى الوقت .

قال : فحنت إليه وأن مغضباً ، فلما رانى تسم وعرف القصة ،
وقال .

« يا مجنون . انكمتك فى فارة فحنتنى ، انكمتك على سم الله
الاعظم ؟! .. فم عنى ، فارتحل . ولا اراك بعد هذا »

ومن كلامه .

« لا يزال اعارفاً ما دام في دار الدنيا متردداً بين الفقر والفخر ، فإذا ذكر الله افخر . وإذا ذكر نفسه افتقر » .
وقال :

« سل ما بدا لك من أمره ونهيه .. وبلغ ذلك بالنسليم والرضا والخضوع .. ولا تنقب بعقلك عما قد أخفى عنك من أسرارهِ ، مثل القدر وغيره .. فإن الله يقص ما يشاء ويحكم ما يريد »
يقول ذو النون :

« ثلاثة من علامة السوفيق :

الوقوع في عمل البر بلا استعداد له ، والسلامة من الذنب مع الميل إليه وفلة الهرب منه واستخراج الدعاء والابتهال »

وقال يوسف بن الحسين :

سألت ذا النون :

ما علامة الأخوة ؟

قال :

« ثلاث : الصفاء ، والتعاون ، والوفاء ..

فالصفاء في الدين ، والتعاون في المواساة ، والوفاء في البلاء »

وقال ذو النون :

« ثلاثة من أعلام الورع :

ترك الشبهة باحتمال المضرة في المال والبدن ، وبذل الفضلة خوفاً
من دخول الخل في الفريضة ، والكف عن الفضول خشية قساوة
القلب .

وقال :

« ثلاثة من أعلام النقي :

مقارقة الذنب ، وسرعة الدمعة ، والانتفاع بالموعظة »

وقال :

« ثلاثة من أعمال الكمال :

ترك الجولان في البلدان^(١) . وقلة الاغتياب بلنعاء عند الامحار .

وصفو النفس في السر والإعلان »

وقال .

« ثلاثة من أعلام المحبة :

الرضا في المكروه وحسن الظن في المجهول وحسن الاختيار في

المحذور .

« وثلاثة من أعلام الصواب :

الأنس به في جميع الأحوال ، والسكون إليه في جميع الأعمال .

وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال »

« وثلاثة من أعمال اليقين :

النظر إلى الله - تعالى - في كل شيء ، والرجوع إليه في كل أمر .

والاستعانة به في كل حال . »

(١) أي : لغير عرض صحيح .

« وثلاثة من أعمال الثقة بالله :

السخاء بالموجود ، وترك الطلب للمفقود ، والاستجابة إلى فصح الموجود . »

« وثلاثة من أعمال الشكر :

المقاربة من الإخوان في النعمة ، واستغناء قضاء الحوائج قبل العطية ، واستقلال أسكر الملاحظة المنة . »

« وثلاثة من أعلام الرضا :

ترك الاختيار قبر القضاء ، وفقدان المراقبة بعد القضاء ، وهيجان الحب في حشو ابتلاء . »

« وثلاثة من أعمال الأتمس بالله

استلذاذ الحلوة ، والاستيحاء من الصلبة ، و ستحلاء الوحدة . »

« وثلاثة من أعلام حسن الظن بالله :

قوة القلب، ونسحة الرجاء في الزلّة، وبهي الإياس بحسن الإنابة . »

« وثلاثة من أعلام الشوق :

حب الموت مع الراحة ، ونغص الحياء مع الدعة ، ودوام الحزن مع الكفاية . »

وقال ذو النون :

« ثلاث من علامات الخوف :

الورع من الشبهات ملاحظة للوعيد ، وحفظ اللسان مراقبة لنظر العظيم ، ودوام الكمد إسحاقاً من غضب الحليم . »

« وثلاث من علامات الإخلاص :

استواء المدح والدم من العامة ، ونسيان رؤيتهم في الأعمال نظراً إلى الله ، واقتضاء ثواب العمل في الآخرة بحسن عفو الله »
« وثلاثة من أعلام الخمول :

ترك الكلام لمن يكفيه الكلام ، وترك الحرص في إظهار العلم عند القرباء ، ووجود الألم لكراهة الكلام عند مخالفة الرأي ، والاحتمال عن ابوري إختائاً ^(١) للرب ، ونسيان إساءة المسيء عفواً عنه ، واتساعاً عليه .

« وثلاثة من أعلام التقوى :

ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها ، وإيقاء بالصالحات مع نفور النفس منها ، ورد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها »
« وثلاثة من أعلام الاتعاض بالله :

الهرب إليه من كل شيء ، وسؤال كل شيء منه ، والدلال في كل وقت عليه »

« وثلاثة من أعلام الرجاء :

العبدية بخلاوة القلب ، والإنفاق في سبيل الله برؤية الثواب ، والمتابعة على فضائل الأعمال بخالص النافس »

« وثلاثة من أعلام الحب في الله :

بذل الشيء لصفاء الود ، وتعطيل الإرادة لإرادة الله ، واستخاء بالنفس ، والمشاركة في محن ومكروهه بصفة العقد » .

(١) لاحات : الحشوع

« وثلاثة من أعلام الحياء :

ورزَنُ الكلام قبل التقوُّه به ، ومُجَانِبَةُ ما يَحْتَاج إلى الاعتذار منه ،
وتركُ إجابة السفيه حُلماً عنه »

قاما الحياء من الله - تعالى - فهو ما قال الرسول - عليه الصلاة
والسلام - :

« أَنْ لَا تُشَسَّ المَقَابِرَ والبلى ، وَأَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وما حَوَى ، وَأَنْ تَتْرَكَ
زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » .

« وثلاثة من أعلام الأفضال :

صلةُ القاطِع ، وإعطاءُ المانع ، والعفوُ عن الظالم »

« وثلاثة من أعلام الصدق :

مُلازمةُ الصادقين ، والسُّكُونُ عندَ نظرِ المتفوسين ، ووجدانُ الكراهة
لاطلاعِ الخلق على السرائر ، واستقامة على الحق سرّاً وجهراً لإيثار
رب العالمين » .

« وثلاثة من أعلام الانقطاع إلى الله :

تقديم العلم ، وتلقين الحكم ، وتأليل الفهم^(١) »

« وثلاثة من أعلام المروءة :

إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، ونشر الخلق الحسن »

« وثلاثة من أعلام التوَدُّد :

النَّائِي فِي الْأَحْدَاثِ ، وَالنَّوْفَرُ فِي الرِّلَاتِ^(٢) ، وَالرَّفْقُ فِي الْمَقَالِ » .

(١) أي تحديد الفهم

(٢) أي المساعدة عند الشدائد

« وثلاثة من أعلام التسليم .

مقابلة القضاء بالرضاء، والصبر عند البلاء، والسحر عند الرخاء »

« وثلاثة من أعلام الإيمان .

إسباغ الطهارات . ورتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها .
والتوبة عند كل ذنب خوفاً من الإصرار .

« وثلاثة من أعلام حسن الخلق :

قلة الخلاف على المعاصرين ، ونحسين ما يرد عنه من أخلاقهم .
والزام النفس اللائمة فيما يحتفلون فيه كفاً عن معرفه عيوبهم »
« وثلاثة من أعلام الرحمة لخلق .

بكاء القلب للبتيم والمسكين ، وفقدان الشماعة بمصائب المسلمين ،
وبدل أصبحت لهم متجرعاً لمرارة ظيولهم ، وإرشدهم إلى صالحهم .
وإن جهلوه وكرهوه » .

« وثلاثة من أعلام الاستغناء بالله :

النواضع للفقراء المتذللين ، والتعظم على الأغنياء المتكبرين ، وترك
المعاشرة لأبناء الدنيا المستكبرين » .

« وثلاثة من أعلام الحياء :

وجدان الأتس بفقدان الوحشة ، والامتلاء من الخلوة بإدمان التفكير ،
واستشعار الهيبة بخالص المراقبة » .

« وثلاثة من أعلام المعرفة :

الإقبال على الله ، والانقطاع إلى الله ، والافتخار بالله »

« وثلاثة من أعلام الرُّشد :

حسن المحاوره ، والصبح عند المتساوره ، والبر في المجاوره »

« وثلاثة من أعلام السعادة :

الفقه في الدين ، واليسير للمعمل ، والإخلاص في السعي »

« وثلاثة من أعلام الصلاح في الغنى .

الزهد في الحرام تاركاً له ، وإحراج الحقوق من المال أدء بفرض

فيه ، والتواضع لجميع أساس خوفاً من المكر »

« وثلاثة من أعلام الصلاح في الفقر :

القناعة بما قدر له من الرزق ، وطلاقة الوجه إظهاراً للشكر عن

النعم ، وترك التواضع للمكثر طمعاً فيه .

« وثلاثة من أعلام حب الآخرة :

كثرة البكاء والذكر لها ، ودوام الشوق لها ، وبغض الدنيا من أجلها »

« وثلاثة من أعلام اليقين :

قلة المحالفة للناس في العشرة وترك المدح لهم في العطية و لنثره

عن ذمهم في المنع والرؤية » .

« وثلاثة من أعلام التوكل .

نقض العلائق . وترك التملق في العلائق ، واستعمال الصدق في

العلائق » .

« وثلاثة من أعلام الصبر :

السَّاعِدُ عَنْ الْخُطَاءِ فِي الشَّدَةِ ، وَاسْكُونِ عَلَيْهِ مَعَ تَجَرُّعِ عُصَصِ
الْبَلِيَّةِ ، وَاطْهَارِ الْغَنَى مَعَ حُلُولِ الْفَقْرِ بِسَاحَةِ الْمَعِيَسَةِ » .

« وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الزُّهْدِ :

قَصْرُ الْأَمَلِ ، وَحُبُّ الْفَقْرِ ، وَاسْتِفْنَاءٌ مَعَ صَبْرٍ »

« وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْعِبَادَةِ :

حُبُّ اللَّيْلِ لَيْسَهَرٍ بِالتَّهَجُّدِ وَالْخُلُوعِ ، وَكَرَاهَةُ الصَّبَاحِ لِرُؤْيَا النَّاسِ
وَالْغَفْلَةِ ، وَالْبَدَارُ بِالصَّالِحَاتِ » .

وَيَكُنْ أَنْ يُعَدَّ مِنْ ثَلَاثِيَّاتِهِ مَا حَدَّثَ عَنْهُ عَلَى بَنِي عَبْدِ اللَّهِ كَرَّخِي ،
قَالَ

سَمِعْتُ دَا الْوَلَّيَّ يَقُولُ :

« مَقْدَاحُ الْعِبَادَةِ الْفِكْرُ ، وَعَلَامَةُ الْهَوَى مَنَابِعُهُ الشَّهَوَاتُ ، وَعَلَامَةُ
النُّوْكَالِ انْقِطَاعُ الْمَطَامِعِ » .

وَيُرْوَى عَنْ الشَّدَّادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ :

قِيلَ لِأَبِي الْفَيْضِ ذِي النُّونِ :

« كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ »

قَالَ :

« أَصْبَحْتُ نَعْمًا إِنْ نَفَعَنِي تَعْنِي ، وَالْمَوْتُ يَحْدُثُ فِي طَلَبِي »

وَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟

فَقَالَ

« أَصْبَحْتُ مُقِيمًا عَلَى ذَنْبٍ وَبِعَمَةٍ ، فَلَا أَدْرِي مِنَ الدُّنْيَا أَسْتَغْفِرُ .. أَمْ

عَلَى نِعْمَةٍ أَشْكُرُ ؟ » .

وقيل له : كيف أصبحت ؟

قل

« أَصْبَحْتُ بَطْلاً عَنْ الْعِبَادَةِ . مَلُوثاً بِالْمَعَاصِي . أَتَمَتِي مَنَازِلُ
الْأَبْرَارِ ، وَاعْمَلْ عَمَلِ الْأَشْرَارِ » .

وَأَرْسَلَ الْوَلَدُ بْنُ عَتَمَةَ لِدَمَشْقَى إِلَى دَى الْوَدِّ كِتَاباً يُسْأَلُهُ فِيهِ عَنْ
حَالِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

« كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِسْأَلِنِي عَنْ حَالِي ، فَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَخْبِرَكَ بِهِ مِنْ حَالِي
وَأَنَا بَيْنَ خِلَالٍ مُوجِعَاتٍ » ..

ابكاني منها أربع :

حُبُّ عَيْنِي لِلنَّظَرِ .. وَلِسَانِي لِلْفُضُولِ ، وَقَلْبِي لِلرِّيَاسَةِ .. وَإِجَابَتِي
إِبْلِيسَ - لَعْنَهُ اللَّهُ - قِيماً يَكْرَهُهُ اللَّهُ .

واقلقني منها أربع :

عَيْنٌ لَا تَبْكِي مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَنَتَةِ ، وَقَلْبٌ لَا يَخْشَعُ عِنْدَ نَزُولِ الْعِظَةِ .
وَعَقْلٌ وَهِنٌ فَهْمُهُ فِي مُحِيطَةِ الدُّنْيَا ، وَمَعْرِفَةٌ كُلَّمَا قَبِلَتْهَا وَجَدْتَنِي بِاللَّهِ
أَجْهَلُ .

واضناني منها أربع :

أَنْتَى عَدِمْتُ خَيْرَ خِصَالِ الْإِيمَانِ الْحَيَاءِ .. وَعَدِمْتُ خَيْرَ زَادِ الْآخِرَةِ :
التَّقْوَى .. وَفَنَيْتُ أَبَامِي بِمُحِبَّتِي لِلدُّنْيَا ، وَتَضَيَّعِي قَلْبِي لَا أَقْتَنِي مِثْلَهُ
أَبَداً »

وسأله بعضهم عن حاله فقال :

« ما لي حالٌ أرضى ولا حالٌ أرضاه .. كيف أرضى حالى لنفسي

ولما لا أقي بما أرك مني ؟ ! »

.. ثم كيف لا أرضى حالى ولا يكون مني إلا ما راد من الأحوال ؟ !

ولست أدري أيهما أحسن ؟ .. حسنٌ حالى في إحسانه إليّ ، أم حسنٌ

حالى في سوء حالى ؛ إذ كان هو المختار لي ؟ ! » .

وقال :

« عن وثق يلهي استراح ، ومن تقرب قرب ، ومن صفا صفى له » .

والحق - في نظر ذي النور - لا يمكن وضعه إلا بصفات السلب ،

ولذا يقول :

« كلُّ ما تصوّر في وهمك فإله بخلاف ذلك » .

وقال :

« من أراد التواضع : فليؤجّه نفسه إلى عظمه الله .. فإنها مذوبٌ

وتصفو .

.. ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه : لأن النفوس كلها

فقيرة عند هيئته » .

وقال :

« احذر أن تنقطع عن الله فتكون مخدوعاً .. وكلُّ من نظر إلى عطائه

ولم ينظر إليه فهو مخدوع » .

وقال :

« اهل القرآن هم الدين أنصبوا الأمدان حتى نزلت أبدانهم ، وذهبت
شفاههم ، وهملت عيونهم » .

رضي الله عن دى النون ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا
محمد - الفتح لما أُعْلِقَ ، وخاتم ما سبق - ترعى آله وصحبه
أجمعين

مراجع الكتاب

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أخبار العارفين لأمين ياكويه .
- ٣- خبر العلماء بأخبار الحكماء لعلي بن يوسف القمى .
- ٤- تاريخ ابن عساكر ،
- ٥- الجامع الصحيح للترمذى
- ٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى يعيم الأصبهاني
- ٧- السر المكنون فى مناقب ذى النون لجلال الدين السيوطى .
- ٨- لسنن الكبرى للبيهقى ،
- ٩- شعب الإيمان للبيهقى ،
- ١٠- صحيح البحارى ،
- ١١- صحيح مسلم ،
- ١٢- طبقات الصوفية لأبى عبد الله رحمن السلمى .
- ١٣- الطبقات الكبرى للإمام الشعرايى .
- ١٤- عوارف المعارف للسهروردى .
- ١٥- الكواكب الدرية للمناوى .
- ١٦- مجموعة ما ترجم عن المستشرق « بيكسون » .
- ١٧- محاسن الأوئل لجمال الدين القاسمى
- ١٨- المسند للإمام أحمد بن حنبل .
- ١٩- الموطأ للإمام مالك بن أنس .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● مقدمة	٩
● حياته	١٩
- من كلام شيخه «شقران العابد»	٢٥
- ومن كراماته	٢٦
● محنته	٣١
● وفاته	٤١
● لمحدث المتبع للسنة	٤٣
● ذوالنون العالم	٤٩
- تقديره لعلم	٥٦
● الصوفي	٦١
- لصومية	٦١
- طريق	٦١
- اتوبة	٦٤
- المرید	٦٥
- الذكر	٧٠
- الورع	٧٤
- الرهد	٧٧
- اتوكن	٧٩

- ٨٤ - الرضا
- ٨٥ - المعرفة
- ٨٨ - المحبة
- ٩٠ - اليهود
- ٩١ - الأسر
- ٩٢ - الشوق
- ٩٥ - الخلوة
- ٩٦ - سر الملكوت
- ٩٩ - صاحب الكرامات
- ١٠١ - السائح
- ١٠٥ - يا أمل المؤمنين
- ١٠٥ - إذا اعتلت فلا تجعل عثتك إلى محق مثلك
- ١٠٦ - إن لمحِب هو الصبور
- ١٠٧ - من يرح النحاة يحتهد
- بين جبال انشام:
- ٢٠٨ - يا من استأس به المحتهدون فوحدود سريغ محب
- في بلاد العرب:
- ١٠٨ - لا تترك الزاد ليوم معادك
- ١٠٩ - هي بلدة شاهرت
- ١١٠ - هي تيه نى إسرائيل
- ١١٢ - على شاطئ بيل مصر

- ١١٢ - في مقبرة البصرة
- ١١٤ - سياحة في طلب المباح
- ١١٤ - في بيت الله الحرام
- ١١٥ - في بعض سياحاته
- ١١٨ - في نواحي الشام
- ١١٨ - في بعض سياحاته
- ١١٩ - على جبل المقطم
- ١٢٠ - في التيه
- ١٢٠ - في جبل نيسان
- ١٢١ - في جبال بيت المقدس
- ١٢٢ - في جبل لبنان
- ١٢٢ - على شاطئ غدير
- ١٢٣ - حديث مع بعض متعبدى العرب
- ١٢٤ - سبحانه ما أمهله بالأنام !
- ١٢٤ - أطع الله إذا خلوت يُجيبك إذا دعوت
- ١٢٥ - من استغنى بالله أمن من العدم
- ١٢٦ - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
- في اليمن :
- ١٢٦ - علامة الخوف من الله
- في المغرب :
- ١٢٨ - القرآن حديثه والذكر رفيقه

- ١٢٩ - بحم عرفت الله
- ١٣٠ - إن لله عبادة لو أقسموا على الله لأبرههم
- ١٣١ - كيف السخاء؟
- ١٣٢ - كل مطيع مستأنس
- ١٣٣ - سبحانه ما أمهله للأنام !
- في بلاد الشام :
- ١٣٣ - سبحانه من أذاق قلوب العارفين حلاوة الانقطاع إليه
- ١٣٥ • المناجى
- ١٦٥ • الواعظ
- ١٧٩ • الحكيم
- ٢٠١ • متناثرات وطرائف
- ٢١٧ • مراجع الكتاب
- ٢١٩ • فهرس محتويات الكتاب





عربية للطباعة والنشر

7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043

* يتناول هذا الكتاب حياة واحد من أهم رجال التصوف الإسلامي ، بل قطب كبير من أقطابهم .. إنه « ذو النون المصري » : العارف بالله ، والعالم العابد ، والورع الزاهد ، والمتوكل السالِح ، والمناجس البليغ ، والواعظ الحكيم ، والولي الكبير صاحب الكرامات ، والمحدث المتبع للسنة ، ذو العبارات الوثيقة ، والإشارات الدقيقة ، والصفات الكاملة ، والنفس العاتلة العاملة ، والمحاسن الجزيلة ، والأقوال والأفعال الحميدة الجليلة ، الذي زهت به مصر وديارها ، وأشرق بنوره ليها وتهارها .

* ويشتمل الكتاب على دراسات مهمة عن حياة ذي النون المصري وعلاقته بالحكام وذوي النفوذ والسلطان ، وموقفه من الفقهاء ، ومعاملاته مع المريدين وغيرهم ، وآرائه وتأملاته ونظراته العميقة حول الذكر والورع والزهد والصبر والتقوى والرضا والتوكل والاجتهاد والسياسة والطاعة والاستغناء بالخالق عن المخلوق ، والخوف من الله والانقطاع إليه والأمل فيه ، والمعرفة والمحبة والود والأنس والشوق والخلوة والأحوال والمقامات وأسرار المكوث ... إلى غير ذلك مما يهم المسلم الراغب في معرفة الله الودود الرحيم .

* ودار الرشاد إذ تقدم إلى جماهير القراء في مصر والعالم العربي والأمة الإسلامية كتاب « ذو النون المصري » لفضيحة الدكتور عبد الحليم محمود .. تدعو الله العليّ القدير أن ينفع به المؤمنين ، وأن يهدي به غيرهم إلى سبيله القويم ، وأن يتقبله خالصاً لوجهه الخالد الكريم .

الناسر

عصام رشاد

دار البهارف